سر الدلفين الغامض

محمود سالم

سر الدلفين الغامض

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سر الدلفين الغامض

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٩٠٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
فترة استجمام!	١١
كشف الحساب بين القواقع!	١٧
الشياطين يصيدون السردين!	٢٥
الفريسة السهلة!	٣١
معلومات خطيرة!	٣٩
الجحيم تحت الماء!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

فترة استجمام!

كانت فترة الاستجمام التي بدأها الشياطين الـ «١٣» بأحد شواطئ «الإسكندرية» لم تنتهِ مدتُها بعدُ. وفي أحد أيام الإجازة — وعلى الشاطئ — كان كلٌّ واحد مستغرقًا في عالمه الخاص به. وكل واحد منهم قد أخذ المكان المناسب له على الشاطئ، «خالد» ينظر إلى الأمواج الجميلة الرائعة، ويتأمل طيور النورس وهي ترتفع وتهبط، وبجواره «أحمد» يستند على ذراعه اليمنى، وينظر إلى الأمواج الصغيرة، وهي تنطفئ على الشاطئ.

بينما استغرق كلٌّ من «عثمان» و«بو عمير» في قَصْرٍ من الرمال صنعاه، وأخذَا يتأملانه، أما «فهد» و«قيس» فقد رسمَا «شطرنج» على الرمال، ووضعَا عليه عددًا من حصى البحر وأصدافه ومحاره، واستغرقَا في معركة على الرمال، أيهما يهزم الآخر؟

أما «مصباح» فقد تمدَّد على كرسيٍّ من كراسي البحر، وراح في نوبة نُعاس لذيذة تُهدهدها أنسام البحر الرقيقة، واضعًا قُبعتَه فوق وجهه حتى لا تلفحَه أشعة الشمس.

وكان «رشيد» و«باسم» و«ريما» يلعبون بكرة الماء يتداولونها فيما بينهم.

ونظر «خالد» إلى «أحمد» ثم قال له: إلى أين ذهبت؟

قال «أحمد»: أنا هنا معك على الشاطئ.

خالد: إذن انظر لهذه اللوحة الجميلة.

أحمد: أين هي؟

خالد: هناك على صفحة الماء ... هذه المياه الزرقاء الصافية تبعث في النفس الراحة، كأنها تمتصُّ من النفس كلَّ رواسب الإجهاد، والهموم، والقلق. وطيور النورس اللطيفة ... في حياتها البسيطة، تقوم من نومها لا تحمل أيةَ وسيلة من وسائل الصيد لتطير فوق المياه الزرقاء بمنتهى الرقة والخفَّة تلتقط رزقَها دون أية صراع أو منافسة، أو مؤامرات. ما أجمل هذه الحياة!

أحمد: إن الحياة في مجملها بسيطة ... لكن الإنسان هو الذي يُعقِّدها وينشر فيها الدمار والصراع ...

في تلك اللحظة كانت «إلهام» تقترب آتيةً من الفيلَّا، التي يُقيمون فيها إلى حيث «أحمد» و«خالد». فتنبَّه «أحمد» لها، ونظر إليها، وقال: ماذا هناك؟

قالت «إلهام»: رسالة من رقم «صفر»!

نادى «أحمد» على بقية الشياطين، وسرعان ما اجتمعوا تحت «الشمسية» التي يجلسون تحتها على الشاطئ.

فهد: ماذا حدث؟

قيس: لا بد أن هناك أمرًا هامًّا.

أحمد: رسالة من رقم «صفر»، ويبدو أنها مهمة؛ لأن رقم «صفر» حين يطلبنا في هذا التوقيت فإن الأمر يكون جديرًا بالاهتمام. اقتربوا أكثر ... اقرئي الرسالة يا «إلهام».

إلهام: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»: «أعرف أنكم تقضون فترة راحة واستجمام، لكن الأمر خطير للغاية، المهمة هذه المرة قريبة جدًّا منكم. إنها في «الإسكندرية»، لقد جاءنا من بعض عملائنا أنهم رصدوا سمكة غريبة تطفو فوق سطح البحر، في فترات متباعدة من الليل والنهار، في منطقة محددة من «رأس التين» شرقًا إلى «برج العرب» غربًا، وقد التقط بعضُ عملائنا بعضَ الصور أثناء دخول إحدى السفن إلى ميناء الإسكندرية ... ورغم أن الصور من مسافة بعيدة وفي الظلام، إلا أن الملامح الظاهرة هي لسمكة «الدلفين» وعلى رأسها جسم غريب قد يكون آلة تصوير دقيقة أو جهاز رادار دقيق. المهمة تتركز في اكتشاف سر «الدلفين الغامض»، أمامكم ست ساعات لتستريحوا وتستعدُّوا ... إلى اللقاء في الساعة الثامنة.»

نظر «خالد» إلى الشياطين، ثم قال: ألم تلفت هذه السمكة نظرَ أحد؟

أحمد: لا ... لأنها شيء عادي ... فالبحر هنا ممتلئ بهذه الأسماك، ووجودُ الماء الذي تكثر به الأسماك الصغيرة ... أمرٌ طبيعي لا يلفت نظرَ أحد.

عثمان: مع أن برأسها شيئًا غريبًا — كما تقول الرسالة — فكيف لا يكتشفها أحد؟

مصباح: إن الواقف على الشاطئ يسترعيه المنظرُ الكلي، لكنه لا يدقِّق النظر في أشياء كهذه، إلا إذا كان باحثًا، وإلا فلماذا لم نكتشف نحن هذه السمكة، أو نراها ونحن هنا منذ عدة أيام وقريبون من هذه المنطقة؟

أحمد: أشعر هذه المرة أن الأمر خطير ... فلا داعيَ لتضييع أي وقت في التحليل، ويجب أن نستعدَّ من الآن ... قد يكون وراء هذه السمكة شيءٌ نجهله ... أو عصابة للتهريب أو التجسس ... أو ...

المهم أن الأمر يبدو لي هذه المرة خطيرًا ... هيَّا بنا إلى العمل أيها الشياطين ... انتهت الراحة.

جمع الشياطين أمتعتَهم من على الشاطئ ورجعوا إلى مقرِّهم، كان لا يزال أمامهم وقتٌ كافٍ لتناول الطعام وأخْذ قسط من الراحة، حتى يتأهَّبوا لهذه المغامرة الجديدة، لكنهم كانوا مشغولين. إنه شيء غريب حقًّا ... سمكة تسير بجهاز!

هدى: هي الوحيدة التي لم تكن على الشاطئ ... لكنها علمت بأمر الرسالة من «إلهام»، وكانت قد أعدَّت طعامًا للشياطين، فجلسوا يأكلون وقد خيَّم عليهم الصمت ... لكن الأمر المسيطر على فكرهم جميعًا كان هو سؤال واحد: ما هو سرُّ هذا «الدلفين الغريب»؟

فجأة، توقَّف «خالد» عن الطعام ثم نظر إلى الشياطين، وقال: أتوقع أن يكون وراء هذه السمكة أمرٌ خطير للغاية. ليس بالطبع تهريب مخدرات، أو تفجير منشآت ... لقد قفز إلى ذهني خاطرٌ في صورة سؤال: لماذا لا تكون عملية من عمليات التجسس؟

في هذه اللحظة توقَّف «أحمد» عن الطعام، ونظر إلى «خالد»، ثم أدار بصرَه في وجوه بقية الشياطين ... كأنه كان يدور في ذهنه هذا الخاطر لكنه لا يريد أن ينطق به حتى تتكشف الأمور. ثم ترك الطعام وقال في نبرة حزينة: إنها مصيبة فعلًا لو كانت إحدى عمليات التجسس. أرجو ألَّا تكون كذلك.

قام «أحمد» دون أن يُكملَ طعامه، وسار ناحية الحمام، ووضع «خالد» رأسَه بين كفَّيه، وأخذ ينظر إلى الطعام، بينما راح «عثمان» يرفع الطعام إلى فمه ببطء، ثم ترك الملعقة بما فيها من طعام في الطبق، بعد أن رفعها إلى فمه ...

وانصرف بقيةُ الشياطين قبل أن يُكملوا طعامهم إلى أماكن الراحة، لكنهم كانوا في حالة لا تسمح لهم بالراحة ولا الخلود إلى النوم قليلًا ... لأن هذا الخاطر أيقظ كلَّ حواسهم. وجعل كلًّا منهم يفكر ويتقلَّب في مكانه ... وسيطرت على فكرهم عمليةُ التجسس، وإن حاول كلٌّ منهم أن يستبعدها من بؤرة فكره.

كانت الساعة تقترب من السادسة، والهدوء يخيِّم على المكان. قفز «خالد» من فراشه وبجوار السرير أخذ يقوم ببعض التمرينات الرياضية الخفيفة ... فنظر إليه «عثمان» بعينَين لامعتَين من طرف الوسادة كأنه ثعلب ماكر، ثم قال له: ماذا تفعل؟

قال «خالد»: ما ترى؟

قال «عثمان»: إنها السادسة مساءً لا صباحًا ...

قال «خالد»: أحاول أن أخرج مما أنا فيه.

قال «عثمان»: هل أدلُّك على شيء مفيد أيضًا؟

خالد: ما هو؟

قال «عثمان»: اذهب وخذ حمامًا منعشًا ... سيتبدَّل حالك فورًا.

قال «خالد»: نعم إنها فكرة جيدة، وإن كانت ليست جديدة.

انصرف «خالد» إلى الحمام بينما نام «عثمان» ووضع رأسه تحت الوسادة، في هذه اللحظة كان «أحمد» قد نزل من فوق السرير، وفتح باب الصالة المؤدي إلى «الشرفة»، ثم سار حتى وقف ينظر إلى البحر من بعيد ... واستغرق فيه بوجدانه ... كأنه على اتصال لاسلكي مع الأعماق.

كانت الأفكار تضطرب بداخله كالأمواج ... كان هناك صراعٌ داخلي وثورة في أعماقه ... إنه يتعجل الدقائق والثواني حتى تصل رسالة رقم «صفر» ... حتى تتكشَّف الأمور وتتضح المسألة، إنه يذهب ويجيء، ويقيس الأرض بقدمه ... فيذهب بالطول ثم بالعرض ... لا يدري ما يصنع.

لا ... إنه يقلِّب أفكاره على كل ناحية ووجه ...

إن شبح الخيانة يتجسَّد أمامه ... إنه حزين ... لأنه في اللحظة التي كان يستجمُّ فيها على الشاطئ، كان غيرُه يتجسَّس على بقعة من وطنه ... ولكن كيف يعرف أنهم يتجسسون؟ وماذا يصنعون إذن؟ وما سرُّ هذا الجهاز؟

كانت ظنونُه قد وصلَت به إلى طريق مسدود؛ فضرب بقبضته على الحائط، ثم مضى داخلًا ...

جلس الشياطين يشربون الشاي ... وبين كل لحظة وأخرى ينظر أحدهم في ساعته ... كان التوتر فعلًا قد بدأ يسيطر عليهم؛ فكلما اقتربَت الساعة من الثامنة، ازداد الاضطراب وبدَت علاماتُه على الوجوه في العصبية والسرعة الزائدة في تناول الشاي.

كانت اللحظاتُ تمرُّ وكأنها الجبال ... ثقيلة ... مملَّة ... فجأة سمع الجميع إشارات جهاز الاستقبال، وفي حركة لا إرادية وقف الجميع فجأة ... فأسرع «أحمد» إلى الجهاز ليستقبل الرسالة.

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»: «الآن أقول لكم كلَّ شيء بوضوح ... فانتبهوا ... المسألة غاية في الدقة والسرية ... هناك عصابة تعمل لصالح دولة معادية يقومون بأعمال التجسس، يملكون غواصة صغيرة تحت تصرفهم بكامل أجهزتها وطاقمها ... استطاع أحد العلماء بها أن يسيطر على مخِّ هذا «الدلفين» بواسطة أجهزة تحكُّم خطيرة ودقيقة، فهو يسير بالأجهزة، وقد ثبَّت فوق رأسه جهاز رادار خطير للغاية، يكشف كلَّ التحركات والمعدات، ويعمل في الظلام الشديد كما يعمل في النهار الساطع ... ويقول عملاؤنا إن الغواصة بمكان ما تحت سطح البحر ... قد تكون قريبة متخفية بالقرب من الصخور، وقد تكون بعيدة ... والمهمة هي مراقبة تحركات وتصوير المعدات في قاعدة «د. الجوية وقاعدة. د. البحرية».»

بهذه الصورة تكون الأمور قد وضحَت وأصبحَت المهمة عاجلة ... لأننا لا نعرف كم من الأسرار قد عرفوا، ومتى ستنتهي مهمتُهم؟ ويجب علينا جميعًا المبادرة بإنهاء المهمة في أسرع وقت وبمنتهى الدقة؛ فالوقت ضيِّق، والمنطقة حرجة لا تحتمل المغامرات. سيكون أمامكم ملفٌ كامل عن العملية غدًا في تمام الساعة العاشرة صباحًا، سيذهب «أحمد» إلى مطعم وكافتيريا «س جول» بالقرب من «المكس»؛ فهناك أحد عملائنا سيُسلمه الملف ... مع أمنياتي ودعواتي بالتوفيق.

انتهت رسالة الزعيم رقم «صفر» ثم نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «أحمد»: الأمر كما تصورنا تمامًا. الحمد لله أننا بهذا الوعي ... لكن رغم وضوح كلِّ شيء إلا أننا لا نستطيع عملَ أيِّ شيء، حتى يأتيَنا بالتقرير الكامل والملف الخاص بها ... إنها مهمة صعبة جدًّا ... لكنها ليست مستحيلة.

كشف الحساب بين القواقع!

في الساعة التاسعة والنصف تمامًا، استقل «أحمد» السيارة متجهًا إلى مطعم «سي جول» ... كانت نسائم الصبح النديَّة تهفو لها روحه كأنها نفحات عطرة آتية من حديقة بديعة، وكان صوت الموج يتهادى إلى سَمْعه من بعيد كأنه أغنية محبَّبة إلى نفسه ... يرهف لها سمعُه ... وبين الحين والحين يتطلَّع إلى البحر ويأخذ نفَسًا عميقًا.

وحين اقترب من البحر عند ضاحية «المكس» هدَّأ من سرعة السيارة ... وأخذ يتطلَّع إلى البواخر الرابضة في عرض البحر ... والداخلة إلى الميناء. ثم قال بينه وبين نفسه: كل هذه الحياة والحركة ... تحتها الدمار والهلاك ... مَن يدري بهذا؟

تجاوز «أحمد» ضاحية «المكس»، واقترب من مطعم «سي جول». ترك السيارة بعيدًا عن المطعم، ثم سار إلى المطعم على قدمَيه، وأخذ يتأمَّل كلَّ شيء حوله ... ينظر إلى الشرق ناحية «الرمل» و«رأس التين»، ثم ينظر إلى الغرب حيث «المكس» و«الدخيلة» و«برج العرب» و«العامرية».

اتجه صوب المطعم ... وإلى مائدة خالية جذب الكرسي وجلس ... أخذ يتأمل المكان بنظرة فاحصة ... معظم الحاضرين تبدو عليهم علامات الاغتراب ... ليسوا من المصريين ... ربما ... لحظات وتقدَّم إليه رجل في العقد الرابع من العمر، يرتدي زيًّا أحمرَ وكابًا أبيضَ يبدو أنه الزيُّ الرسمي للعاملين بالمطعم؛ قمحي اللون، عيناه بُنيَّةُ اللون، له شاربٌ كثيف، متوسط الطول، اقترب من «أحمد»، وانحنى نصف انحناءة: صباح الخير يا سيدي، أهلًا بك!

أحمد: أهلًا ... صباح الخير ...

ثم قال الرجل: ماذا تأكل؟ «جمبري» أم «كابوريا»؟ أم قواقع؟ بعد إذنك يا سيدي ... أقترح عليك طبقًا من القواقع، إنها خطيرة وسهلة الأكل.

أدرك «أحمد» على الفور أنه هو المقصود ... فأومأ برأسه مستجيبًا. وقال: كما ترى.

غاب الرجل دقائق قليلة ... كان «أحمد» فيها مشغولًا بالمكان وصور الأسماك الرائعة على الجدران، ومنظر المطعم داخل البحر وكأنه «عوامة» فوق الماء.

عاد الرجل وبين يدَيه «صينية» كبيرة عليها عدة أطباق؛ طبق فيه قواقع، وطبق سلطة، وطبق عليه خبز، وشوكة وسكين، وكوب ماء مثلَّج عليه «منديل» من القماش الأبيض.

تناول «أحمد» المنديل فوجد تحته قصاصة ورق صغيرة، فأدرك الأمر ... وبمنتهى الهدوء نظر فيها كأنه ينظر إلى الطعام، حتى لا يتنبَّه له أحد؛ فوجد فيها خمس كلمات: «كن حذرًا؛ فهنا طيور غريبة.»

فَطَن «أحمد» إلى الرسالة، ولم يكن له أيُّ ردِّ فعل ... لأنه تعوَّد على مثل هذه الأمور، وقابلها كثيرًا في حياته، وظل ينظر في الطعام ويتأمل القواقع «المسلوقة»، ثم أمسك بكوب الماء ورشف، ثم أمسك بقوقعة، وأمسك بالشوكة، وأخذ يعالجها حتى يُخرِجَ ما بها ... ثم أخذ الورقة بسرعة وأطبق عليها كفُّه ... في هذه اللحظة أقبل الرجل الذي قدَّم له الطعام، وقال له: مكالمة تليفونية لك يا سيدي ... اتبعني إلى «كابينة» التليفون.

قام «أحمد»، وسار خلف الرجل، حتى أوصله فعلًا إلى «كابينة» صغيرة مصنوعة من البلاستيك الملون، ولها نافذتان صغيرتان من الزجاج ... بحيث يرى مَن بالداخل كلَّ مَن بالخارج ولا يرى مَن بالخارج سوى رأس مَن يتكلَّم.

حين دخل «أحمد» الكابينة وجد سماعة التليفون فعلًا مرفوعة، وتحت جهاز التليفون مظروف متوسط الحجم، فَهِم «أحمد» الرسالة، وأمسك بسماعة التليفون، وقال: آلو ... فسمع من الناحية الأخرى صوتًا يقول له: إجازة سعيدة ... أودُّ أن يكون الغداء قريبًا، نحن في انتظاركم ... مع السلامة ...

وضع «أحمد» السماعة، وفي لمح البصر كان المظروف تحت ثيابه وخرج في هدوء ... ثم جلس إلى المائدة مرة أخرى ... وتناول قوقعة أخرى ... لكن رأسه كانت تجوب بحارًا أخرى بحثًا عن قواقع جديدة ... مَن يا تُرى هذا المتحدِّث؟

ولماذا لم يُعرِّفني بنفسه؟ ربما يكون التليفون مراقَبًا فعلًا؟

وهذا الرجل الذي قدَّم لي الطعام مَن يكون؟ ما اسمه؟ ماذا يعمل؟ ما دوره؟

فهمت الآن ... إنه يقول هنا طيور غريبة ... فعلًا إنه ذكي، ربما تكون هناك أجهزة تنصُّت وُضعت في الموائد أو تحتها ... ربما ... كل شيء محتمل ... أو بعض أفراد هذه العصابة أو عملاؤها موجودون هنا الآن.

نادى «أحمد» على الرجل ... أقبل الرجل في تباطؤ ... ثم قال لـ «أحمد»: أية خدمة أخرى يا سيدي؟

قال له «أحمد»: كم الحساب؟

قال الرجل: كشف الحساب بين القواقع يا سيدي.

نظر «أحمد» إلى القواقع. فلم يجد شيئًا ... وهمَّ أن يسأل الرجل أين؟ لكنه فَهِم الأمر، وأدرك أن هذا سرٌّ ... فأخرج من جيبه عشرين جنيهًا، ووضعها على الصينية، ثم قام وقال للرجل: أشكرك جدًّا.

فانحنى الرجل محيِّيًا: مع السلامة ... ونتمنى أن نراك هنا مرة أخرى يا سيدي.

خرج «أحمد» من المطعم، وسار عدة خطوات حتى وصل إلى السيارة، واستقلَّها عائدًا إلى بقية الشياطين ... ووضع يده على بطنه يتحسَّس المظروف، وهمَّ أن يُخرجَه لولا أنه رأى سيارة في المرآة تسير خلفه ...

أراد «أحمد» أن يتأكد من أن هذه السيارة تسير خلفه فعلًا، فاتخذ طريق اليسار وانحرف إلى ميدان وادي «القمر»، ثم نظر في مرآة سيارته فوجد السيارة خلفه ... واصل «أحمد» السير في نفس الاتجاه، ثم توقَّف في الميدان بجوار سيارة أتوبيس، ونزل من السيارة إلى أحد المحلات التجارية، ونظر في واجهته الزجاجية كأنه يشاهد البضائع والمصنوعات، ولكنه كان يتأمل السيارة وقائدها ويتعرَّف على ملامحه التي انعكسَت على الواجهة الزجاجية. وفي سرعة كانت أرقام السيارة مختزنة في ذاكرته، وملامح الرجل الشرسة قد انطبعت في عقله ... لقد تأكد أنه مُراقَب، وأن الطيور الغريبة تحوم قريبًا منه.

عاد «أحمد» إلى السيارة، واتخذ طريقه في نفس الاتجاه إلى الطريق الصحراوي كي يتأكد من هذه الطيور الحائمة، وكي يضلِّلَه ويبتعد به عن مقر الشياطين.

زاد «أحمد» من سرعة السيارة في اتجاه الطريق إلى مطروح، والسيارة تظهر أمامه كل حين في المرآة. وفجأة رأى «أحمد» فتحةً للطريق على اليسار، فزاد من سرعته ثم في حركة جنونية لا يفعلها إلا الشياطين المدربون على هذه المخاطر. انحرف من هذه الفتحة إلى الطريق المقابل في منتهى السرعة حتى أوشكَت السيارة أن تنقلب ثم زاد من سرعته في الاتجاه إلى الإسكندرية مرة أخرى وإلى مقرِّ الشياطين، بينما ظلت السيارة الأخرى في اتجاهها لم تستطع الانحراف ... وبذلك يكون قد تخلَّص «أحمد» من هذه البومة.

كان الشياطين قد أصابهم القلق، وسيطر عليهم حين غاب «أحمد» لأنه لم يتصل ليُخبرَهم بما حدث. ولا يعرفون له مكانًا محددًا إلا مطعم «سي جول»، ولكن التعليمات

الصادرة من رقم «صفر» كانت محددة بذهاب «أحمد» فقط ... وحين دخل عليهم المقر، التفُّوا حوله يستفسرون عن سرِّ غيابه وتأخره.

خالد: لقد أقلقتَنا عليك.

ثم قال «فهد»: لماذا لم تتصل بنا لكي نطمئنَّ عليك؟

فتح «أحمد» سُترتَه، وأخرج المظروف ووضعه أمامهم على المائدة. ثم قال: لقد كنتُ مراقَبًا من لحظة وجودي في المطعم ... سار خلفي رجل يركب سيارة بيضاء.

عثمان: وماذا حدث؟

أحمد: لا شيء ... تخلَّصتُ منه في الطريق الصحراوي ... إنه هناك الآن يبحث عني في الصحراء.

قال «قيس»: مَن يكون يا تُرى؟ ومع مَن يعمل؟ ألم تعرف عنه شيئًا؟

أحمد: أبدًا ... كل الذي عرفته ورقة جاءتني من رجلنا في المطعم يقول فيها: «كن حذرًا؛ فهنا طيور غريبة.» ويبدو أن هذا الشخص من هذه الطيور ... ولا يزال هناك بقية للطيور. دخل الشياطين «قاعة» الاجتماعات، وفتح «أحمد» الملف الخاص بالمعلومات ليقرأه عليهم ويتبيَّنوا منه أسرارَ المهمة القادمة.

كان الملف يحتوي على عدة صور فوتوغرافية، لهذا «الدلفين» الغامض في ظلام البحر. ورغم ذلك كانت إلى حدٍّ ما واضحة؛ لأن الفوسفور الذي تحتوي عليه مياه البحر كان كالهالة المنيرة تبعث الضوء من حول «الدلفين»، فأظهرَت جزءًا واضحًا من جسمه، وقد بدَا جهاز الرادار الصغير واضحًا فوق رأسه، وزَّع «أحمد» الصور على بقية الشياطين وقد ظهرَت على وجوههم علاماتُ الدهشة.

قال «مصباح» معلِّقًا على الصور: شيء غريب حقًّا ... كيف استطاعوا التحكُّم في مخ هذا المخلوق بهذه الصورة؟ لقد أصبح بهذه الصورة كالآلة المطيعة يتحكمون فيه كيف يشاءون.

قال «خالد»: نحن الآن أمام مهمة صعبة فعلًا ... ولن يكون من السهل أبدًا أن نتمكن منهم سريعًا وهم بهذه المقدرة ...

عقَّب «أحمد» على ما سمع، فقال: أرى اليأس يتسرَّب إلى نفوسكم، ما الحكاية إذن؟ انتظروا قليلًا حتى نرى بقية الملف.

ثم أخرج «أحمد» من المظروف مجموعةً من الأوراق، عبارة عن تقارير مكتوبة، نظر «أحمد» فيها نظرةً فاحصة مدققة، وأدار نظرَه سريعًا في الأوراق، ثم نظر إلى بقية

الشياطين، وقال: المهمة الآن أصبحت واضحة، إن الزعيم رقم «صفر» قد جهَّز كلَّ شيء والتعليماتُ كلُّها مدوَّنة في هذه التقارير. والذي أودُّ أن تعرفوه، أولًا أن الغواصةَ صغيرة الحجم وليست كالتي نعرفها، خُصِّصَت لأعمال التجسس، وقد شُوهدَت وهي تغادر أحد موانئ دولة معادية منذ شهرين، وبحساب دقيق نستطيع أن نطرح الفترة التي استغرقَتها من هذا الميناء إلى هذا المكان، وهي فترة لا تتجاوز أسبوعًا على الأكثر ... وهذا يعني أن مهمة هذه الغواصة بدأَت منذ شهرين ونصف وعلى متن هذه الغواصة تسعة أشخاص بطاقمها ... المهم أن أجهزة التحكُّم التي سيطروا بها على هذا المخلوق المسكين دقيقة للغاية وخطيرة، هذا بالإضافة إلى أنهم يحاولون حاليًّا تجربتها على الإنسان.

وواضح من التقرير أن «الدلفين» يتمُّ تَسْييرُه كثيرًا بالليل ... ونادرًا ما يظهر نهارًا، إلا إذا دعَت الضرورة لذلك ... أما أهم ما في الملف فهي تعليمات الزعيم رقم «صفر»، وأخذ «أحمد» يقلِّب الأوراق ثم أمسك بورقتَين مدقِّقًا نظرَه في الكلام المكتوب، وقال: أولًا: نظام العمل على مجموعتين؛ مجموعة ليلية ومجموعة نهارية.

المجموعة الليلية: «خالد»، «فهد»، «قيس»، ورائدهم «أحمد».

المجموعة النهارية: «رشيد»، «مصباح»، «عثمان»، ورائدهم «بو عمير».

بقية الشياطين يظلون بالمقر في انتظار ما يجدُّ.

المجموعة الليلية مهمَّتُها مراقبة هذه المنطقة لمعرفة نقطة بداية «الدلفين»؛ فإذا عرفنا نقطة البداية، استطعنا تحديدَ مكان «الغواصة».

المجموعة النهارية مهمَّتُها مراقبة هذه المنطقة أثناء النهار حتى تكون تحت أعيننا طوال الأربع والعشرين ساعة.

ثانيًا: ستجدون قاربَين آليَّين في بوغاز «المكس» مخصَّصَين للمهمة الأولى باسم «فارس البحر»، والثاني باسم «الغزال»، وستكون المهمة على هيئة صيد «السردين» والشِّباك موجودة على القاربَين وفي كل قارب ثلاثة رجال سيتعاونون معكم.

البداية ستكون الليلة وابتداء من النقطة «أ» غرب برج العرب حتى النقطة «ب» مدخل الميناء الشرقي. والمدى المسموح به كيلومتران فقط.

ثالثًا سريٌّ للغاية: القاربان مزوَّدان بجهازَي رادار لمسح المنطقة تمامًا ... الرجال الموجودون معكم على القاربَين لا يعرفون شيئًا عن هذه الأجهزة؛ فقد ثبَّتها عملاؤنا في قاع القاربَين بطريقة فنية أثناء الليل ... أما عن كيفية التشغيل فستكون عن طريق كاميرا دقيقة مزوَّدة بجهاز «ريموت» نستخدمها من فوق سطح المركب، وبها شريط «فيديو» لالتقاط الصور. مفتاح التشغيل الأرقام «صفر، ٣، ١»، من الشمال إلى اليمين.

الكاميرتان ستصلان مع الغداء في تمام الساعة الثالثة من مطعم «سي جول» ... حظٌّ موفَّق. سأتصل بكم في السادسة.

كانت هذه آخرَ ورقة بيد «أحمد»، فوضعها فوق بقية الأوراق ثم أدخلها في المظروف مرة أخرى، ساد الحجرةَ صمتٌ قصير ... كان كلُّ واحد من الشياطين يفكر أو يرتِّب فكْرَه ... وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة.

نظر «أحمد» في ساعته، وكان يبدو هادئًا، ثم قال لهم: الساعة الآن تقترب من الثانية عشرة، وأمامنا وقتٌ طويل حتى السادسة، نستطيع أن نجهِّز كلَّ ما نحتاجه ... أول شيء هو الملابس الثقيلة؛ لأننا سنبقى على ظهر القارب طوال الليل، وبعض المعدات والآلات الخفيفة، والمنظار المكبر.

قال «عثمان»: إنها أشياء بسيطة.

ردَّ «أحمد»: يجب ألَّا نستهينَ بشيء مهما كان بسيطًا ... المعلومات الآن كافية وأصبحت المغامرة واضحة، ويجب ألَّا نقعَ في خطأ بسيط؛ لأنه سيكون مكلِّفًا.

الآن نبدأ الاستعداد والتجهيز حتى مجيء الغداء.

بدأ الشياطين يجهزون أشياءهم كأنهم خلية نحل، أحضر كلُّ شيطان من المكلفين بالمهمة حقيبة صغيرة ووضع فيها بعضَ الملابس، وبطارية إضاءة، ووضع «أحمد» في حقيبته بوصلة، ومسطرة هندسية وجهاز اللاسلكي مع أشيائه وبعض الأوراق وخريطة صغيرة لجمهورية مصر العربية.

نظر «مصباح» إلى «أحمد» وهو يلفُّ الخريطة ويضعها في الحقيبة مع الأوراق الأخرى، فقال له: أذاهبٌ أنتَ إلى الجامعة؟!

فابتسم «أحمد»، وقال: شيء أهم من الحياة، وأهم من كل الدنيا وبقاعها ... إنها تراب الوطن أغلى شيء في الوجود.

فنظر إليه «بو عمير» نظرةَ إعجابٍ وتقدير وتأكيد لكل هذه المعاني والعواطف التي تموج بنفوس الشياطين كلهم.

انتهى الشياطين من إعداد مستلزماتهم. كانت الساعة تقترب من الثانية ولم يبقَ أمامهم إلا انتظار الغداء وذلك في الساعة الثالثة.

التفت «أحمد» إلى «بو عمير»، وقال له: أحضر الشطرنج وتعالَ نخوض معركة في هذه الساعة، ربما أتمكن منك قبل أن يأتيَ الغداء.

فردَّ «بو عمير»: موافق ... لكن بشرط: إنْ هزمتُكَ تتنازَلْ عن غدائك للشياطين.

فقال «أحمد»: وإن هزمتُك أنا؟

فقال «بو عمير»: تأكل غدائي وآكل أنا غداءَك.

فضحك الشياطين وارتسمَت البسمةُ على وجوههم، وأقبل «بو عمير» برقعة الشطرنج، وبسطها على المائدة، واستغرق الشياطين في المباراة ولم يشعروا بالدقائق وهي تمرُّ؛ فقد انقضت الساعة ولم يُفِق الشياطين إلا على صوت جرس التليفون. فنظروا إلى بعضهم في استغراب …

قال «عثمان»: أيكون الزعيم رقم «صفر»؟

قال «فهد»: لا … طبعًا … فهو أعلمنا بموعد الاتصال في السادسة.

نظر «أحمد» إلى «ريما»، وقال: من فضلك أعطيني سماعة التليفون.

ثم وضع «أحمد» السماعة على أُذُنه … ولم يكَد يتكلم حتى سَمِع صوتًا على الطرف الآخر يقول له: الغداء أسفل المقر في سيارة «المطعم» غداء شهي … تأكد من عُلبتَي الشيكولاتة. ثم وضع سماعة التليفون.

فتح «أحمد» الصندوق الورقي الكبير ليتأكد من وجود عُلبتَي الشيكولاتة — أي الكاميرتين — وسرعان ما أصابَته الدهشة، الكاميرتان موجودتان فعلًا، لكن السبب في سر دهشته أنه وجد طبقًا فيه بعض القواقع، فتذكَّر على الفور الجملة التي قالها له عميل رقم «صفر» في المطعم، وهي «كشف الحساب» بين القواقع، وهو حتى هذه اللحظة لم يستطع أن يصل إلى فك رموز هذه الشفرة.

وكان يتمنى أن يرى الرجل ليسأله … لكن فات أوان ذلك، جلس الشياطين يتناولون الغداء، بين كل لحظة وأخرى، تصدر من أحدهم معاكسةٌ لطيفة لزميله، لكن «أحمد» كان شاردَ الذهن يفكر في فَهْم السر … تُرى ما هو كشف الحساب؟ وما المقصود بالقواقع؟

لكنه كان يعود إلى صوابه ويقول في نفسه: لا تتعجل الأحداث؛ فكل شيء سيظهر في حينه، فرغ الشياطين من تناوُل الطعام، وجلسوا يتبادلون الحديث … وكان «أحمد» مستلقيًا ينظر إلى التليفزيون كأنه يشاهده، بينما كان ذهنه مشغولًا يشاهد عرضًا آخر.

كان «بو عمير» في هذه اللحظة يشاهد التليفزيون أيضًا، ثم نظر إلى «أحمد» وقال له: هل رأيت هذا الفيلم قبل ذلك؟

أفاق «أحمد» فجأة ثم قال: أي فيلم؟

نظر إليه «بو عمير» مستغرقًا: أي فيلم؟ هذا الفيلم …

قال «أحمد»: لا أذكُر … أنا لم أركز مع الأحداث.

قال «بو عمير»: إنه فيلم «الحوت الأبيض» إنه فيلم عالمي ظريفٌ جدًّا، يحكي قصةَ ثأرٍ بين قبطانٍ وحوتٍ شرس أكل ساقَه في إحدى رحلات صيد الحيتان.

هزَّ «أحمد» رأسَه، وقال: آه ... آه ... طبعًا رأيتُ هذا الفيلم ... فعلًا فيلمٌ ظريف جدًّا.

قال: «بو عمير»: تُرى هل ستكون مغامرتُنا شبيهةً بهذه؟

قال «أحمد»: أحيانًا يكون صراع الإنسان للإنسان أشدَّ شراسة من عالم الحيوان؛ فصراع الحيوان من أجل البقاء، أما صراع البشر فمن أجل الفناء.

في تمام الساعة السادسة كانت إشارات جهاز الاستقبال يسمعها كلُّ الشياطين، لتُعلن بدْءَ المغامرة. أسرع «أحمد» إلى الجهاز ليستقبل الرسالة من الزعيم.

رقم «صفر»: الآن أقول لكم: استعدوا. ستجدون كلَّ التيسيرات في «بوغاز المكس»، بطاقات الصيد مع الريس «علي»، وهو سيتولَّى كتابة التصريح والموافقة من «كشك حرس الحدود»، فأنتم طلبة جئتم من الجامعة لقضاء الإجازة في البحر بحثًا عن لقمة العيش ومصاريف الجامعة.

ستجدونه جالسًا بجوار القاربَين على الشاطئ، يرتدي جلبابًا أبيض وعمامة بيضاء. ذو شارب أبيض، وعلى كتفه «عباءة» سوداء، وفي العادة القوارب تخرج للصيد في السابعة وتعود في الصباح.

سكت الزعيم رقم «صفر» لحظة، ثم قال: هل من استفسارات؟

فقال «أحمد»: نعم ... لقد قال لي عميلُنا في مطعم «سي جول» جملةً، لكني حتى الآن لم أجِد لها تفسيرًا.

فردَّ الزعيم رقم «صفر»: نعم «كشف الحساب»، بين القواقع. إن الشياطين مشهورون بحدة الذكاء وشدة التركيز، لأجل هذا لن أكشفَ لك عن سرِّها ... فقد التقطها عميلُنا من فمِ أحدِ الطيور الغريبة في «المطعم»، وسأتركك أنت لتقولَ لي قريبًا: لقد وجدت كشف الحساب بين القواقع. وأتمنى لكم التوفيق.

الشياطين يصيدون السردين!

كانت الساعة السادسة والثلث حين بدأ الشياطين في الخروج من المقر؛ فقد خرج «أحمد» ومجموعتُه في اليوم التالي، ليتولوا النوبة الليلية.

استقل الشياطين الأربعة تاكسيًا إلى «بوغاز المكس»، ونزلوا على جانب «الكوبري»، ونظر «أحمد» إلى أسفل حيث البوغاز والقوارب الآلية الصغيرة، ومسح المكانَ بنظرة فاحصة؛ فرأى القارب الأول «فارس البحر»، وإلى جواره القارب الآخر «الغزال»، ونظر على الشاطئ فوجد رجلًا يجلس فوق صخرة قريبة من القاربَين، فتأمله واستحضر في ذهنه الأوصاف التي أعطاها له الزعيم رقم «صفر»، إنه هو، أشار «أحمد» إلى الرجل بإصبعه، وهو يوجِّه الكلامَ إلى الشياطين الثلاثة، هذا هو الريس «علي» ... هيَّا بنا نهبط إليه ...

كان الريس «علي» قد هبَّ واقفًا حين رأى «أحمد» وزملاءَه يتجهون إليه، وأقبل عليهم يُحيِّيهم ويسلِّم عليهم بأسمائهم ... لأن معه بطاقاتِ الصيد وفيها صِوَرُهم وأسماؤهم ولم يستغرب الشياطين ذلك ... ثم قال لهم: ستنزلون إلى «فارس البحر»، وسأقوم أنا باستخراج التصريح وبقية الرجال في القارب ... وأرجو ألَّا تخذلوني مع ريس المركب.

قفز الشياطين إلى القارب وتسلَّقوا على حبل «الهلب» في خفَّة ونشاط، فنظر إليهم الرجال الثلاثة في إعجاب ودهشة؛ لأنهم كانوا يتوقعون أنهم طلبة فعلًا لا يفهمون في أمور البحر كثيرًا، وسيخافون من مواجهة الأمواج والمخاطر ... لكنهم رأوا فيهم جرأة وقوة، وحين أصبحوا على ظهر القارب وصلوا إلى حيث الرجال الثلاثة الذين رحبوا بهم في إعجاب.

ثم سألهم ريس المركب: هل سبق لكم نزول البحر للصيد؟

فردَّ «أحمد»: طبعًا ... وإجازتنا السنوية كلُّها في البحر ... فنحن أصدقاء وزملاء ونادرًا ما نفترق. قال «الريس»: وأين نزلتم؟

أجاب «أحمد»: في السويس، والغردقة، وكذلك في بورسعيد ... وأنا شخصيًّا مكثتُ شهرين باليونان على ظهر مركب صيد كبير ...

قال ريس المركب: أنت ريس مركب كبير إذن؟

ردَّ «أحمد»: لا ... إنها هواية ورحلات نتعرف فيها على بلاد وأناس آخرين، ونتحصل منها على نفقات الدراسة.

قال ريس المركب: يعجبني دائمًا الإنسان المجتهد.

ثم أشار «أحمد» بيده إلى رفاقه، وقال للريس: «فهد»، «قيس»، «خالد». وأشار إلى نفسه «أحمد».

ولم ينتظر ريس المركب حتى يسألَه «أحمد» عن اسمه، بل ردَّ على الفور، وأنا اسمي «جمعة»، وهذا «حسن» و«عبده».

كان هذا الحوار مهمًّا؛ حيث رفع بعضَ التكلف، وأزال بعض الهيبة من نفوس الجميع تجاه بعضهم. لحظات وجاء الريس «علي» وفي يده بطاقات الصيد والتصريح وأعطاه للريس «جمعة»، ثم قال له: توكل على الله ... لكن هؤلاء أمانة. أُوصيكم بهم ... حتى تعودَ سالمًا مجبورًا إن شاء الله.

سار القارب يصارع الأمواج، ويشقُّها بمقدمته، والشمس توشك على الرحيل، تودِّع النهار وتفارق الأرض.

كان «أحمد» مع الريس «جمعة» في كابينة القيادة، بينما كان بقية الشياطين على ظهر المركب في المؤخرة بجوار شباك «السردين».

كان القارب يسير باتجاه الغرب، مبتعدًا عن ضاحية «المكس» مقتربًا من منطقة «الدخيلة» و«برج العرب»، مما جعل «أحمد» يسكت ولا يسأل؛ لأنهم يسيرون في نفس الاتجاه المقصود.

ثم بدَا لـ «أحمد» أن يسأل الريس «جمعة» عن مكان الصيد بالتحديد، فقال له: أين سيكون عملنا؟

فقال الريس «جمعة»: سنرمي الشباك أول الليل بعد المغرب بساعة تقريبًا بين الدخيلة وبرج العرب، ثم نجمع الشباك في العاشرة، ثم نجهزها لنرميَها مرة أخرى في الثانية عشرة حتى الفجر، من أمام بوغاز «المكس» حتى رأس التين، ثم نعود مع شروق الشمس.

قال «أحمد»: ولماذا اخترتَ هذه الأماكن بالذات؟

قال الريس «جمعة»: لأنها مناطق تجمع السردين حيث المياه العذبة الخارجة من «بوغاز المكس»، رغم ما يُصيبنا من خسائر في الشباك.

أحمد: ولماذا؟

قال الريس «جمعة»: لأن أسماك «الدلفين» تهجم على الشباك فتأكل ما بها من سردين وتمزِّقها وتمضي ...

انتهز «أحمد» فرصةَ الكلام عن «الدلفين»، ثم قال للريس «جمعة»: سأبوح لك بسرٍّ، لكن أرجو ألَّا يعلمَ به أحد. فالتفت إليه الريس «جمعة» منتبهًا، وقال: خيرًا ...

فقال «أحمد»: حين كنتُ في اليونان أهدَى لي أحدُ أصدقائي كاميرا خطيرة، تكشف تجمعات الأسماك تحت الماء ... وهي معي في الحقيبة ... ولأنك رجل طيب فسوف أستخدمها الآن ... لكن يجب ألَّا يعرف بها أحدٌ من الصيادين حتى لا يتبعونا فيعرفوا مكان السمك.

فقال الريس «جمعة»: سرُّك في بئر ... ولن يعلم به أحدٌ حتى زملائي الذين معنا على القارب. وحتى يكون الموضوع سريًّا تمامًا ستبقى أنت هنا في مكان القيادة لكي تستخدم الكاميرا بحريَّة.

وعندما اطمأن «أحمد» إلى سرية المغامرة فتح حقيبتَه، وأخرج منها الكاميرا وثبَّتها أمامه على قطعة خشب، ثم أخرج الريموت، وضغط على الأرقام «صفر، ٣، ١»، فأنارت شاشتُها الصغيرة التي في حجم شريط «الفيديو»، ثم ضغط على «زرِّ» التشغيل ليتأكد من سلامة الفيلم، فوجد كلَّ شيء على ما يرام. وكانت تظهر بعد الحين والحين سمكةٌ على الشاشة، فكان «أحمد» يقول للريس «جمعة»: انظر إنها تكشف كلَّ شيء.

قال الريس «جمعة»: هذا شيء غريب ... كيف وهي على سطح المركب؟

قال «أحمد»: عقول جبارة يا ريس «جمعة».

ولم يكن الريس «جمعة» يعلم أن بقاعِ القاربِ جهازَ رادارٍ صغيرٍ مثبَّتٍ به ... ثم قال له «أحمد»: لن أترك لك سمكة في هذه المنطقة حتى أكشفَها ... كلُّ ما عليك هو أن تتجهَ بنا حيث أُشير عليك. فقال الريس «جمعة» في فرح: سأفعل كلَّ ما تريد.

كان القارب قد وصل إلى غرب ضاحية «الدخيلة» والساعة تقترب من الثامنة مساءً. قال «أحمد» بينه وبين نفسه: نحن في حاجة إلى نصف ساعة فقط نمشِّط فيه المنطقة، وآخر الليل نصف ساعة أخرى نمشِّط المنطقة الباقية.

التفت «أحمد»، وقال للريس «جمعة»: الآن سنأخذ اتجاه شمال غرب ... كانت الأسماك التي تبدو على شاشة الكاميرا كأنها قناديل مضيئة، وكأنَّ قاعَ البحر عُرْسٌ تتلألأ منه أروعُ الأضواء؛ فالمياه ليست عميقة بالدرجة التي تجعلها مظلمة قاتمة.

وصل القارب إلى النقطة التي حدَّدها الزعيم رقم «صفر»، لكن كان كلُّ شيء عاديًّا ... فلم يظهر أمام الرادار شيءٌ غريب ليستدعيَ الاهتمام.

طلب «أحمد» من الريس «جمعة»، أن يقلِّل من سرعة القارب، ثم أشار عليه أن يرميَ شباكَ السردين باتجاه الشرق ... وبدأ الشياطين العمل كصيادين ... نسيم البحر يلسع وجوهَهم ببرِدِه، بينما «أحمد»، ظل في كابينة القيادة أمام الكاميرا. وفرغ الجميع من إلقاء الشباك. لكن «أحمد»، كان في ذهنه شباكٌ أخرى وصيدٌ آخر ... فطلب من الريس «جمعة» أن يستديرَ بالقارب ليطمئن على الشباك، حتى لا تهجمَ عليها «الدلفين»، وابتعد «أحمد»، متعمدًا ذلك عن الشباك بمسافة ٥٠٠ متر، وظل يجوب البحرَ طولًا وعرضًا حتى وصل قريبًا من آخر الشباك، واستدار جهة الشمال ليعود إلى أول الشباك ... وبمجرد أن استدار لمحَ على شاشة الكاميرا نصفَ سمكة تحتلُّ جانب الكاميرا، فأسرع بالمِقْود في يده ليُدركَها حتى تظهر كاملةً على الشاشة ... وسرعان ما أصابه الذهولُ والسمكة تمرق كالسهم اللامع تحت سطح الماء ... وهي مدفوعة بقوة خفية، وفوق رأسها ظهَر واضحًا ذلك الجهاز.

حاول «أحمد» أن يحتفظ باتجاهه وراء سمكة «الدلفين»، لكنها كانت في سرعتها كالبرق الخاطف ... فاختفَت فجأة وأحسَّ «أحمد» بالحزن والأسى. لكنه عرف اتجاهها وذلك ما جعله يطمئن إلى حدٍّ ما ... فهي قادمة من الغرب إلى الشرق ... إذن نقطة الانطلاق من الغرب.

وصل القارب إلى بداية الشباك. كانت الساعة تقترب من التاسعة والنصف، هدَّأَ الريس «جمعة» من سرعة القارب، ثم استدار بالقارب جهة الشمال، وألقى بالهلب في البحر ليستريحوا قليلًا ويتناولوا بعضًا من الطعام، ثم يعودوا إلى جَمْع الشِّباك مرة أخرى.

جلس «أحمد»، مع بقية الرجال ومعهم الشياطين يتناولون الطعام، بعد أن فرغوا أمسك كلٌّ منهم بكوب الشاي، وانفرد الشياطين ببعضهم، وأخذوا جانبًا صغيرًا من ظهر القارب.

فمال عليهم «أحمد»، وقال: لقد حدَّدت نقطة الانطلاق.

فهد: ماذا حدث؟

أحمد: لقد رصدتُ «الدلفين» وهو متَّجه من النقطة «أ» إلى النقطة «ب».

خالد: هل استطعتَ تصويره؟

أحمد: نعم ... لقد كان شيئًا مهولًا ... إنه يسير كالأعمى ... وفي سرعة البرق ... هرب من أمام الشاشة سريعًا ...

قيس: وماذا بعد ذلك؟

شرد «أحمد» قليلًا، ثم قال: لا بد من خطة جديدة ... إننا في حاجة إلى زورق مجهَّز ... لا بد من صيد هذا «الدلفين» بعد معرفة مكان الغواصة، ولن يكون ذلك إلا بتجهيزات أخرى.

فهد: لا بد من تحديد مكان الهدف أولًا ... ثم بعد ذلك سهل.

أحمد: لن يكون ذلك سهلًا ونحن في هذا القارب؛ لأن إمكانياته محدودة.

خالد: ما زال الليل طويلًا ... ونستطيع أن نقوم بجولة أخرى ... ربما نعثر على خيط يُوصلنا إلى الهدف.

كان الريس «جمعة» ورفاقه قد انتهَوا من شُرب الشاي وتدخين بعض السجائر ... ثم نادى على «أحمد» قائلًا: جاهز يا كابتن «أحمد»؟

قال «أحمد»: نعم ... هيا بنا ...

رفع الرجال «الهلب» على ظهر القارب، واستدار القارب ليبدءوا في جمع الشباك مرة أخرى ضغط أحد الرجال على زرٍّ، فأدار «الونش» الذي يجذب الشباك من البحر ويرفعها على ظهر القارب ...

وبدأ ظهْر القارب يتلألأ ويلمع من أسماك «السردين» التي علقت بالشباك ... وكانت فرحة الرجال بالسمك شديدة ... فهو يبدو بالنسبة لهم كثيرًا عمَّا تعودوا أن يحصلوا عليه.

وسرعان ما نظر الريس «جمعة» إلى «أحمد»، رافعًا يدَه محيِّيًا ... كأنه يعبر عن إعجابه وتقديره.

انتهى الرجال من رفع الشباك من الماء ... وبدءوا في وضْع السمك في صناديق خشبية، ثم نادى الريس «جمعة» على «أحمد»، وقال له: أنت «الريس» الليلة، وجِّهْنا إلى حيث شئت.

كانت هذه فرصة ثمينة للشياطين؛ فالقارب أصبح تحت تصرُّفهم، وبدأ «أحمد» يتجه بالقارب إلى النقطة «أ»، التي حددها لهم الزعيم رقم «صفر».

مرَّت نصف ساعة ... والقارب يجوب طول البحر وعرضه محتفظًا بالمسافة التي حددها لهم الزعيم رقم «صفر».

وبينما كان «أحمد» يستدير بالقارب ناحية الشمال. فجأة، ظهر «الدلفين» على الشاشة واضحًا، لكنه في هذه المرة لم يكن سريعًا ... وكان في عكس اتجاهه في المرة السابقة ... حاول «أحمد» جاهدًا أن يحتفظ بالمسافة بينه وبين «الدلفين» حتى تظلَّ صورتُه ظاهرةً على الشاشة ... كان «الدلفين» فيها يظهر ويختفي، ولم يكن اختفاؤه إلا لحظةَ صعوده

إلى سطح الماء ليمكث ما يقرب من دقيقة ثم يعود إلى أسفل مرة أخرى ... حتى بقيَ «الدلفين» مسافة طويلة لا يصعد إلى سطح الماء. كان القارب فيها قد وصل إلى حدود النقطة «أ»، وسرعان ما انطلق «الدلفين» سريعًا حتى اختفى بين الصخور ثم ظهر مرة أخرى. لكن قريبًا من جسم تظهر منه بعض إضاءة ... عندما تلوح وتغير لون الصخور ... في هذه اللحظة تأكد «أحمد»، دون أدنى شك من أن هذا هو الهدف المقصود ... أوقف «أحمد» القارب لحظات ركز فيها الكاميرا على هذا الجسم ... ومسحه من أوله إلى آخره.

ثم طلب من الريس «جمعة» «عوامة» وأمره أن يُلقيَها بجوار القارب ... ثم نظر في البوصلة وحدَّد اتجاه القارب وزاوية تواجُد الهدف، وحدد المسافة ... ثم زوَّد من سرعة القارب ليخرج من هذه المنطقة، قبل حدوث أية مفاجأة ... لكن الريس «جمعة» سأله عن سرِّ «العوامة»، فقال له: هذه المنطقة مملوءة بأسماك «الدلفين»، وقد وضعتُ علامةً لكي تعرفَها ... حتى لا ترميَ بها الشباك فتقضي «الدلافين» عليها ...

قال الريس «جمعة»: أنت مخك كبير ... يا كابتن «أحمد»!

وظل القارب يشقُّ الماء متجهًا إلى الشرق حتى كاد أن يوازيَ «بوغاز المكس»، فاقترح «أحمد» أن يُلقوا بالشباك في هذه المنطقة وقد حدث.

وبعد أن فرغوا من إلقاء الشباك ... جلسوا يشربون الشاي. واجتمع الشياطين اجتماعًا مصغرًا كالأول ... لكنه كان في هذه المرة مهمًّا ... فقد أطلعهم «أحمد» على كل التفاصيل ... ثم قال: الآن فقط فهمتُ معنى «كشف الحساب» بين القواقع.

إن الصيد الثمين يستقر آمنًا بين الصخور.

الفريسة السهلة!

رجع الشياطين الأربعة من رحلة الصيد المثيرة في تمام السابعة صباحًا ... كان الريس «علي» ينتظر على الشاطئ ليطمئنَّ على الطلاب الأربعة، هل وُفِّقوا في رحلة الصيد أم لا؟

وما إن توقَّف القارب بجوار الشاطئ حتى أقبل الريس «علي» على الجميع، وقال: حمدًا لله على السلامة ... كيف الحال يا ريس «جمعة»؟

فردَّ الريس «جمعة»: أحسن حال يا ريس ... خير كثير ورجال ما لهم مثيل.

فاطمأن الريس «على» ومسح بيده على صدره، وقال: الحمد لله.

وتولَّى بقيةُ الرجال إنزالَ السردين على العربة، بينما غادر الشياطين الأربعة القارب، واتخذوا طريقهم إلى المقر.

حين دخل الشياطين الأربعة المقر، كان باقي الشياطين في يقظة تامة وانتظار، كأنهم هم القادمون من رحلة الصيد، وسلَّم الشياطين على بعضهم ... وقبل أن يتكلموا في أي شيء ... أشار عليهم «باسم» أن يأخذ كلٌّ منهم «حمامًا دافئًا» أولًا، ثم مشروبًا ساخنًا قبل الإفطار.

لم يكن هناك وقتٌ للانتظار، فاتجه «أحمد»، بعد خروجه من «الحمام» إلى الغرفة السرية ومعه بقية الشياطين، ثم وضع شريط «الفيديو» في جهاز العرض، وأخذ كلٌّ من الشياطين مكانَه، وأطفأ «فهد» المصابيح ... ثم ضغط «أحمد»، على زرِّ التشغيل.

جلس الشياطين مأخوذين بالفيلم في هدوء وسكون تام ... كان بعضهم من شدة الترقب واللهفة على الأحداث قد توتَّرت أعصابُه بعضَ الشيء وقد مرَّت لحظات وكل شيء عاد ... أسماك السردين تظهر وتختفي، وقناديل البحر تقترب ثم تبتعد ... لتظهر بصورة رائعة على هذه الشاشة الكبيرة ... ثم فجأة يظهر جزءٌ كبير من سمكة ضخمة على الشاشة.

ثم شيئًا فشيئًا تبدو ملامحها كاملة ... في هذه اللحظة قفز الشياطين من أماكنهم وهبُّوا واقفين ... والكل في صوت واحد: «أحمد» ... ثبِّت الصورةَ من فضلك.

ثبَّتَ «أحمد» الصورة ... فبدَا «الدلفين» شيئًا مهولًا مروعًا ... جثة ضخمة ... فاتحًا فمه كأنه كلب مسعور ... وجهاز الرادار مثبَّت بأسلاك متداخلة على جانب فمه وخياشيمه ...

اقترب الشياطين أكثر من الشاشة ليدقِّقوا النظر ... كانوا في ذهول مما يرون.

جلس «باسم» في حركة لا إرادية ... ثم قال: هل هذا معقول؟!

ردَّ «فهد»: شيء خطير فعلًا ...

وقال «خالد»: الشيء الخطير أن يبقى أكثر من ذلك.

قال «أحمد»: أرجو أن تهدءوا ... فهناك مفاجأة أخطر من ذلك.

أدار «أحمد» الفيلم مرة أخرى ... ورجع الشياطين إلى الخلف جلسوا على مقاعدهم ... وسار الفيلم عاديًّا ... وظهرت سمكة الدلفين مرة أخرى على الشاشة ... لكن كان هذه المرة واضحًا تمامًا وهو يسير ببطء على الشاشة مبتعدًا عن القارب، بينما الكاميرا تُتابعه وهو يبتعد حتى اختفى ... ثم ظهر مرة أخرى من بين تلك الكتل السوداء ليستقرَّ على بُعدٍ بمقربةٍ من جسم غريب يختلف لونُه عن بقية تلك الصخور السوداء، وقبل أن يتحرك أحد الشياطين من مكانه أو ينطق بكلمة كان «أحمد» قد ثبَّت الصورة ثم قرَّبها أكثر، وقال لهم: تأمَّلوا جيدًا ... ودقِّقوا النظر.

مال «قيس» على مقعده إلى الأمام ثم قال: شيء فظيع ...

قال «أحمد»: ما هو؟

قال قيس: إنها الغواصة.

قال «أحمد»: عظيم ... نعم إنها الغواصة ...

وقال «فهد»: إنها بمكان آمن فعلًا ... يصعب كشفه ... فهي ترَى كلَّ ما يمر بهذه المنطقة ... ولكن لا يراها أحدٌ ... في هذه اللحظة كأن «أحمد» قد وقف وترك الصورة مثبتة على الشاشة، وقال للشياطين: لأجل هذه لا بد من خطة جديدة وسريعة نقضي بها على الهدفَين في وقت واحد ... إننا بحاجة إلى هذا الرادار الخطير، وفي نفس الوقت لا بد من تدمير الغواصة نهائيًّا ...

قال «خالد»: وما المطلوب إذن؟

قال «فهد»: أعتقد أننا بحاجة إلى زورقٍ آليٍّ مجهَّز حتى تستطيع تنفيذ خطتنا.

مرَّت لحظاتٌ من الصمت ... ثم قال «بو عمير»: قد حان وقتُ نوبتِنا ... هل سنذهب الآن؟

قال «أحمد»: لا ... يكفي هذا ... لقد حصلنا على ما نحتاجه.

بو عمير: وماذا بعد ذلك؟

أحمد: سنرى الآن ماذا بعد ذلك.

وبسرعة اتجه «أحمد» إلى جهاز الإرسال الخاص بالشياطين ... ثم بدأ يتصل بالزعيم رقم «صفر»: «من «ش. ك. س» إلى الزعيم رقم «صفر»: لقد وجدنا «كشف الحساب» بين القواقع، ورصدنا مكانه بالتحديد عند النقطة «أ»، نحتاج زورقًا مجهزًا لكي نتمكَّنَ من دفع الحساب.»

لحظات وجاءه الرد: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»: سيتصل بكم أحدُ عملائنا في الثالثة، سيكون كلُّ شيء مجهزًا لا بد من دفع الحساب الليلة.»

انتهت الرسالة ... وجمع «أحمد» بقية الشياطين في حجرة الاجتماعات ليضعوا خطة لكي يدفعوا الحساب الليلة كما طلب رقم «صفر».

بدأ «أحمد» الكلام، فقال: أرجو أن نفكر جيدًا بحيث نصل إلى خطة نتمكَّن بها من القضاء علي الدلفين والغواصة في وقت واحد.

خالد: صعبٌ جدًّا أن نقضيَ عليهما في وقت واحد.

أحمد: أنا لم أقصد في توقيت واحد، ولكن القضاء عليهما بحيث تنتهي المهمة، ولا يبقى لها أثرٌ.

وتكلَّم «عثمان»، فقال: رأيي أن نتمكَّن من «الدلفين» للحصول على هذا الجهاز الخطير، ثم بعد ذلك نقضي على الهدف الآخر ما دام مكانُه معروفًا ومحددًا.

ردَّ «بو عمير»: في هذه الحالة من المحتمل أن نخسر الهدف الآخر ... لأنه في حالة صيد «الدلفين» سيشعرون بالخطر وأن أمرهم قد انكشف ... وربما فكروا في الهروب قبل أن نصل إليهم.

قال «عثمان»: ولو ذهبنا لنقضيَ على الهدف الآخر ... سنخسر الجهاز؛ لأن الوسيلة التي كانت تتحكم فيه قد انتهت، فسينطلق حرًّا ... وربما وقع في يدِ غيرنا فأساءوا استخدامه.

قال «أحمد»: عندي فكرة ... إذا حصلنا على الزورق سيكون من السهل علينا كشف الهدف الأول «الدلفين»، حينئذٍ نتبعه حتى يصل قريبًا من مكمنه، فنُطلق عليه «إبرة» مخدرة، فنتمكن منه ويكون أمامنا وقتٌ كافٍ لنتعامل مع الغواصة، قبل أن تفكِّر في الهرب.

هزَّ «بو عمير» رأسه، وقال: نعم هذا هو الكلام.

قال «باسم»: أعتقد أن هذا هو أساس الخطة، وأبدَى بقيةُ الشياطين موافقتَهم على هذه الفكرة، على أن يتولَّوا وضع الخطة بالتفصيل.

كانت الدقائق تمرُّ سريعة والشياطين منهمكون في وضع تفصيلات الخطة الجهنمية التي سيقضون بها على هذه الكارثة تمامًا.

كان «أحمد» يسجل كلَّ اقتراح ولا يترك أية ملحوظة؛ لأنها ستكون لها أهمية وقتَ الخطر ... ثم بدأ يعرض عليهم الخطة مفصَّلة ووضع كل الاحتمالات الممكنة والتي يمكن حدوثها فجأة وكيفية مواجهتها.

كانت الخطة تقضي بأن يكون طاقمُ العملية «ستة شياطين» فقط ... وتكون البداية أول الليل من النقطة «ب» لا «أ»، ويُقسَّم العمل إلى فترتَين؛ أول الليل وآخر الليل ... وفي حالة ظهور الهدف الأول، تبدأ المتابعة حتى يقترب من النقطة «أ» بمقدار ثلاثمائة متر، ثم نفاجئه «بالإبرة المخدرة»، فيبقى أمامه مائة متر لكي تشلَّ حركته فيها ... حينئذٍ يكون من السهل الحصول عليه واستخراجه بالسهم النفاث، وهو سهمٌ صلبٌ له ريشتان على جوانبه، وفي ذيله حبلٌ طويل آخر فوق ظهر القارب ... كالذي يصطاد به المغامرون الحيتان الضخمة ... لكن هذا السهم يعمل أوتوماتيكيًّا وهو حين ينطلق في الماء ... يترك وراءه هالة بيضاء من شدة السرعة كالدخان الذي تتركه الطيارة النفاثة خلفها ...

بعد ذلك يكون الهدف الآخر على بعد مائة متر ... ويسهل التعامل معه قبل أن يفكِّر في الهرب.

لم يكن قد بقيَ من الزمن لتصبح الساعة الثالثة سوى ربع الساعة فقط ... حين انتهى الشياطين من مناقشة الخطة، قام «أحمد»، إلى «الحمام»، وغسل وجهه ... ثم خرج إلى «الصالة» واسترخى على كرسيٍّ ... ووضع ذراعَه فوق رأسه ... سابحًا في عالمٍ كلُّه مغامرات، يستحضر كلٌّ عمرَه الذي قضاه في المغامرات، ومع المخاطر في كل بقعة من بقاع الكرة الأرضية لم يخشَ مغامرة كهذه المغامرة؛ ليس لأنه خائف — بل إنه لا يعرف الخوف — ولكن لأنها محاولة لتدنيس أرض الوطن، طعنة غدر في صدر وطنه الحبيب، وحزين لأنه يعلم أن من بين هؤلاء أفرادًا وُلدوا على أرض هذا الوطن وتربَّوا فوق هذا التراب ...

وأفاق من عالمه على رنين جرس التليفون، فقبض على «السماعة» في لهفة، وقبل أن يتكلم، كان الصوت الآخر قد بدأ الكلام: أهلا بكم ... الجو مهيَّأ لأن تدفعوا ما عليكم من حساب ... طلبُكم مُعَدٌّ ... ورجلنا ينتظركم عند باب ٦، في تمام الساعة الثالثة.

ردَّ «أحمد»: سندفع الحساب الليلة بإذن الله ... شكرًا.

وضع «أحمد»: سماعة التليفون ... ونظر إلى الشياطين، وقال: الزورق مُعَدٌّ وجاهز في الميناء الغربي وعند باب ٦، وفي الساعة الثالثة تمامًا وبعد مضيِّ ثلاث ساعات من الآن، يعني في تمام الساعة السادسة لا بد أن تكون أمام باب ٦؛ لأن أحد الرجال سينتظرنا هناك، ليُتممَ باقي الإجراءات.

صمت «أحمد»، قليلًا ثم قال: علينا من الآن أن نجهِّز كلَّ أشيائنا ... وأعلمُ أنكم تتمنون لو اشتركتم في هذه المهمة كلكم ... وهذا يُسعدنا جميعًا ... لكن حتى لا نُثيرَ الانتباه إلينا ... سنكتفي بستة فقط يقومون بالمهمة البحرية ... أنتم كذلك ستكونون معنا خطوة بخطوة ... عن طريق جهاز الاتصال.

الشياطين الذين سيشتركون في المهمة البحرية هم «١، ٥، ٦، ٨، ٩، ١١».

ثم وجَّه كلامه إلى خالد: لا تنسَ الإبرة المخدرة.

وأنت يا «فهد»: أهم شيء ... حقيبة «السهم النفاث» ... أرجو ألَّا يتسببَ شيءٌ بسيط في فشل مهمتنا.

ثم نظر إلى «بو عمير»، وقال: أظن أنك لست في حاجة إلى تذكرة؛ فأنت متأكد أننا سنستخدم قذائف الأعماق.

ومهمتك يا «باسم» تتلخص في توصلينا أنت و«رشيد» حتى باب الميناء، ويجب ألَّا يغيبَ عن فكرك أن هناك طيورًا غريبة تحوم من حولنا، «فأرجو الانتباه جيدًا.»

باقٍ لنا من الوقت ساعة ونصف حتى الخامسة، موعد مغادرتنا للمقر ... يمكن لنا أن نتناول بعض الطعام ... فأنا شخصيًّا في حاجة شديدة إلى الطعام.

جلس الشياطين يتناولون الطعام، وتبادلوا أطراف الحديث وهم يأكلون ... كانت روح التفاؤل تسيطر عليهم ... ففي قرارة أنفسهم إحساسٌ بأنهم قد بذلوا وأعدوا كلَّ ما يقدرون عليه ... ولم يبقَ إلا التنفيذ.

ولما فرغوا من الطعام، تفرَّقوا في الصالة، فاسترخي «أحمد»، كعادته فوق الأريكة ... واتجه «باسم» إلى جهاز التسجيل وأدار المؤشر، حتى وصل إلى محطة بعيدة ... فسمع موسيقى هادئة تنساب كأنها أنسامُ الصيف الساحرة اللطيفة ... فأغمض عينَيه في نشوة، وقال: يا سلام ... رائعة.

ثم قال لـ «رشيد»: رغم أننا نملك هذا الشريط ... إلا أنك حين تسمعها من الراديو، تجد لها طعمًا خاصًّا ولا تريد أن تنتهيَ ...

قال «رشيد»: إنها فعلًا موسيقى رائعة ... وموسيقى خالدة؛ لأنها تُخاطب الحسَّ الإنساني العام ... فالمتعلم وغير المتعلم يتأثرون بها وتَسْحرهم ... رغم غموضها ... وهذا سرٌّ من أسرار خلودها.

وكان «أحمد» مستغرقًا في قراءة إحدى الجرائد اليومية، ويقلِّب صفحاتها في سرعة أحيانًا كأنه يقرأ العناوين فقط ... ثم وضعها جانبًا وهبَّ واقفًا، وقال: الآن نستعد ... كل الشياطين انتباه.

قام «رشيد» ووقف منتبهًا مشدودَ القامة رافعًا يدَه بالتحية، وقال: تمام يا أفندم ...

ثم صاح «خالد»: سرية الصيد ... اجمع بالخطوة السريعة. فقال «أحمد»، لـ «خالد»: أيها الشاويش المتعب، أين الزي العسكري؟ ستُحوَّل إلى محاكمة عسكرية.

فقال «خالد»: أعتذر يا سيادة القائد ... لكننا في راحة.

فردَّ «أحمد»: تقول في راحة أيها «الشاويش النائم»، ونحن في حالة الاستعداد القصوى ... لا بد أن تُحاكَم فورًا ... وتُعدَم رميًا بالطماطم.

استغرق الشياطين في الضحك ...

ثم قال «أحمد»: انصراف وعُد لي بعد دقيقة واحدة، وأعطني «تمام».

لحظات قليلة ... وكان الشياطين الستة قد أعدوا حاجاتهم، وارتدوا ما يُناسبهم من ملابس لهذه المهمة.

ثم قال «أحمد»: كل شيء جاهز؟

فردَّ «خالد»: كل شيء مُعَدٌّ وجاهز ...

نظر «أحمد» لبقية الشياطين، وقال: دعواتكم ...

نزل «باسم» و«رشيد» أمام الشياطين الستة ليجهزوا السيارة، ثم تَبِعهم «أحمد» وفريقه وأجهزتهم ومعدَّاتهم. وانتقل الشياطين الثمانية إلى السيارة المجهَّزة ... وخرجوا إلى الطريق الرئيسي ... لكن «أحمد» قال لـ «باسم»: اتخذ طريق إسكندرية مطروح، ثم اتجه إلى الطريق الصحراوي وعُد بنا إلى الإسكندرية.

قال «باسم»: ولماذا؟

قال «أحمد»: تحسُّبًا لما يمكن أن يحدث ... إن صورة الرجل الذي كان يراقبني سيطرَت على ذهني الآن ... وأظن أنه ليس وحده ...

اتجه «باسم» فعلًا إلى الغرب حتى سار عدة كيلومترات، ثم انحرف شمالًا عند تقاطع بين بعض البنايات المتهدِّمة، متجهًا إلى الطريق الصحراوي ... وهدَّأ من سرعته حتى تمرَّ بعضُ السيارات، ثم اتخذ طريق العودة إلى الإسكندرية.

ثم نظر في المرآة وقال: فعلًا ... إنه طريق سهل الحركة وليس مزدحمًا كالطريق الآخر.

السيارات هنا قليلة ... ومن خلال المرآة أستطيع أن أعدَّ السيارات التي تسير خلفي، إنها سيارة ... سيارتان ... ثلاثة ... الأولى زرقاء، والوسطى بيضاء، والتي تسير خلفنا ... حمراء.

ثم نظر مرة أخرى في المرآة، وقال: أصبح الوضع معكوسًا التي تسير خلفنا بيضاء ... ثم الحمراء ... ثم رفع «أحمد» بصرَه ونظر في المرآة المثبَّتة أعلى سقف السيارة، ثم نظر لـ «باسم» وقال له: هدِّئ قليلًا من السرعة ... أريد أن أتأكد من أرقام هذه السيارة ...

كانت السيارة فعلًا قد اقتربت ... فقال «أحمد»: إنها هي ... ما العمل إذن؟ إننا مراقَبون ... لقد كان عندي إحساسٌ داخلي بأن شيئًا كهذا سيحدث.

ثم قال لـ «خالد»: حاول أن تعرف كم فردًا بهذه السيارة بهدوء ... أريد ألا يشعروا أننا نراهم أو نعرفهم.

أمعن «خالد» النظر ثم تظاهر أنه ينظر على جانب الطريق، وقال بصوت خافت: أربعة.

قال «باسم»: نأخذ جانب الطريق ونتوقف.

قال «أحمد»: لا ... لا نتوقف ... لكن حين تصل إلى «وادي القمر» اتخذ طريق اليسار واتجه إلى البحر.

ثم قال: كم استغرقنا من الوقت؟

قال «خالد»: ثلث الساعة.

قال «أحمد»: الوقت ضيق ... الباقي ثلثا الساعة ... ولا ندري كيف ستمرُّ الأحداث؟

ثم نظر إلى «باسم»، وقال له: لا تُسرع ... دَعْهم يتقدَّمون ... هدَّأ «باسم» من سرعة السيارة حتى لحقَت به السيارة الأخرى وأصبحت بمحاذاته ...

في هذه اللحظة قال «أحمد» لـ «باسم»: سِرْ في نفس الاتجاه.

سار «باسم» في نفس الاتجاه حتى عبَرَ ميدان «وادي القمر» متجهًا شمالًا إلى البحر ... ثم الاتجاه غربًا ناحية «المكس» لكن قبل أن يتخذ الشياطين طريقَ اليسار إلى «المكس» كانت السيارة الأخرى قد تقدَّمَت بسرعة لتُغلق على سيارة الشياطين الطريقَ حتى تشلَّ حركتهم.

أوقف «باسم» السيارةَ بطريقةٍ مفاجئة حين وجد السيارة الأخرى تسُدُّ عليه الطريق قريبًا من البحر ... لم ينتظر الشياطين حتى تُفسح السيارة عن طريقهم، أو يتفاهموا

مع هؤلاء الرجال ... ولكن من الناحية الأخرى كان الشياطين قد غادروا السيارة، لأنهم يعلمون جيدًا ماذا سيفعلون.

وبمنتهى السرعة كأنهم طيور جارحة تنقضُّ على فريسة أحاطوا بالرجال الأربعة وأوسعوهم ضربًا حتى أفقدوهم توازنهم.

رغم أن أحدهم أصاب «رشيد» بضربة قوية، أمر «أحمد» الشياطين أن يوثقوهم جيدًا بالحبال وأن يُكمِّموا أفواههم ويضعوا أشرطةً على أعينهم ... ثم دفعوا بهم إلى سيارتهم، وطلب «أحمد» من «رشيد» أن يستقلَّ بهم السيارة ويعود بهم إلى مقر الشياطين ليكونوا رهينة حتى تنتهيَ المهمة.

واستقل الشياطين الستة السيارة يقودها «باسم» إلى حيث تكون النهاية، بينما اتخذ «رشيد» طريقَه بالرجال الموثوقين إلى مقر الشياطين ... حيث توارَت السيارة تمامًا بحيث لم يَعُد يراها أحد بما فيها ومَن فيها.

ولما أصبح «رشيد» أمام بقية الشياطين في المقر قال لهم: لقد أحضرتُ لكم هدية ثمينة وغالية.

معلومات خطيرة!

أخرج الشياطين الرجال الأربعة من السيارة ودفعوهم إلى إحدى الغرف، ثم رفعوا الكمامات والأشرطة التي فوق أفواههم وأعينهم وأوثقوهم بمقاعدهم وجرَّدوهم من أسلحتهم، وكان من بينها مسدسٌ كاتمٌ للصوت.

نظر «رشيد» إلى الرجل، وقال: يا خطير ... هل المهمة خطيرة إلى هذه الدرجة حتى تحمل لها مسدسًا كاتمًا للصوت؟

لم يردَّ الرجل ... قال «رشيد»: لماذا اعترضتم طريقنا؟

قال أحدهم: نحن لم نعترض طريقَكم، ولكن السيارة توقفت فجأة.

ردَّ «رشيد»: لكني حين قُدْتُها لم يكن بها أيُّ عطبٍ أو خلل ... بمَ تفسر ذلك؟

قال الرجل: وماذا تريد منَّا؟ ولماذا جئتم بنا إلى هنا؟ أين نحن؟ لا بد أن تدفعوا ثمن ذلك؟

قالت «ريما»: نحن الذين ندفع الثمن ... أم أنتم؟ يبدو أنكم لا تعلمون حجم جريمتكم وقيمتها ... إن جريمتكم غالية جدًّا ... لذا ستدفعون الثمن مضاعفًا.

قال أحدهم: فيمَ تتكلمين؟ إنك تتكلمين كلامًا غريبًا.

كان «عثمان» قد دخل في هذه اللحظة، فقال للرجل: أهذا كلام غريب حقًّا؟

قال الرجل: أنا لا أفهم ماذا تعني؟ إنها تتكلم بالألغاز.

قال «عثمان»: هل أوضِّح لك أكثر؟ ليس من عندنا طبعًا التوضيح، لكنه من الجهاز الموجود بسيارتكم أسفل المقاعد ... والآن اسمع هذه الرسالة: «من «م١» إلى «م٢» الفئران تدخل المصيدة ... أغلق الباب.»

انتفض أحد الرجال، وقال: ما هذا الهراء؟

قال «عثمان»: إنها سيارتكم وليست سيارتَنا ... وأنتم أدرى بهذا الهراء منَّا ...

قال «رشيد»: ليس أمامنا وقتٌ نضيعه معكم ... فإما أن تقولوا مَن أنتم؟ ومع مَن تعملون؟ ولماذا تعترضون طريقنا؟

نظر الرجال إلى بعضهم البعض ... ثم صمتوا ...

قال «رشيد»: إذا احتجتم إلينا يجب أن تصرخوا عاليًا حتى نسمعكم؛ لأن الماكينة التي تطحن الطعام صوتها مرتفع ... ظهرَت الدهشة والفزع على وجوه الرجال، لكنهم حاولوا أن يتماسكوا، فأغلق الشياطين الباب ثم ذهب «رشيد» إلى لوحة أزرار الأجهزة الكهربائية، فأدار جهاز التدفئة ورفع درجاته إلى أقصى درجة.

وبدأ الشياطين يشاهدون الرجال عبر شاشة في غرفة مجاورة وأجسامهم تلمع شيئًا فشيئًا ويتصبَّب منها العرق الغزير ... وبدأت ملامحهم تتغير ... فالغرفة شديدة الحرارة ... ثم بدأ بعضهم يصرخ ويثور وينادي: أدرِكونا ... سنموت ... ماذا تريدون منَّا؟

كان الشياطين يرون كلَّ ما يحدث ... لكنهم تركوهم حتى ينهاروا، ويعترفوا شيئًا فشيئًا، بدَت وجوهُهم تنقبض ... ويشعرون أن الخطر محدق بهم ولا مفرَّ من الاعتراف.

أخذ الرجال الأربعة يصرخون، وينادون على الشياطين ... فذهب إليهم الشياطين ودخل «رشيد» من الباب، وقال: ماذا تريدون؟

قال أحدهم: ارفع عنَّا هذا العذاب ... سنقول كلَّ شيء.

قال «رشيد» بهدوء تام: نحن نعرف كلَّ شيء ... أنتم تظنون أنكم تراقبوننا. ولا تعرفون أننا كنا نراقبكم ونَعُد خطواتكم ...

قال الرجل: كيف ذلك؟

قال «رشيد»: ألم تكن في مطعم «سي جول» منذ يومين؟ وخرجتَ لتراقب زميلي بسيارتك البيضاء حتى «وادي القمر» ... ثم خرج بك إلى الطريق الصحراوي وأفلت منك هناك؟

قال الرجل: لقد قال لك زميلك ذلك.

قال «رشيد»: بل كنا نشاهدك هنا على الشاشة وأنت كالفأر المذعور.

إن كنت تريد أن تقول شيئًا ... فلن يكون جديدًا ... لأننا نعرف كلَّ شيء ... هل تحب أن ترى شيئًا لطيفًا؟

قال الرجل: وما هو؟

أخرج «رشيد» صور السمكة والغواصة، وقال له: انظر ... أليست سمكة لطيفة؟ إنها تنام هنا بين هذه الصخور ... لكنها لن تعيش طويلًا ... مثلكم تمامًا.

فزع الرجل وقال: هل ستقتلوننا؟

قال «رشيد»: هذا شيء يرجع إلى مدى تعاونكم معنا.

قال الرجل: كل ما لدينا تعرفونه.

قال «رشيد»: وأين كنتم ذاهبون منذ ساعة؟

قال الرجل: أطْفِئ هذا الفرن أولًا ... نكاد أن نموت.

قال «رشيد»: تكلَّم أولًا.

قال الرجل: نعترض طريقكم حتى لا تقوموا بتنفيذ مهمتكم.

قال «رشيد»: ولماذا؟

قال الرجل: حتى يُجهَّز زورقنا ليقضيَ عليكم.

نظر «رشيد» إلى الشياطين الذين يقفون خلفه يراقبون ما يحدث ... ثم قال: وأين زورقكم هذا؟

سكت الرجل ... فقال «رشيد»: ألم نتفق؟ لا بد أن تعرف أنك هنا في الجنة ... لأني لو ضغطت على الزرِّ الآخر لتحركت بكم الحجرة إلى حيث آلة طحن العظام ... فقُل ما عندك بهدوء.

نظر الرجل إلى رفاقه نظرةً يائسة، وقال: في بوغاز «المكس» اسمه «قاهرا» ... لقد علموا بوجودكم الليلة الماضية في البحر فجهَّزوا هذا الزورق ليدمِّر زورقكم ويقضوا عليكم.

قال «عثمان»: ومَن هم الذين علموا؟

قال الرجل: إلى هنا لن أتكلم ... لأنهم سيقتلوننا.

قال «رشيد»: أنت في كلتا الحالتين ميت ... فاعمل عملًا شريفًا تموت عليه ... وسنعدك أننا سنحافظ على حياتكم لو تعاونتم معنا.

قال الرجل: إنها عصابة كبيرة ... يقودها رجلُ أعمال بغرض التجسُّس.

قال «عثمان»: أين يعمل؟ وما هو مقرُّه؟

قال الرجل: «ميدان الرمل» ... أرجوك أطفئ هذه النار.

نظر «رشيد» إلى «عثمان» وأومأ أن يُوقِف الجهاز ... ثم ذهب إلى الرجل وقال له: سأفكُّ وثاقك وحدك ... لكن تذكَّر جيدًا أنك لو حاولت فعل شيء ... ستكون النهاية المحتومة لك.

وفكَّ وثاقَه ... فأخذ الرجل يفرك يدَيه ويمدِّد رجلَيه، فناوله «رشيد» قلمًا وورقة، وقال له: اكتب اسم الرجل، ومَن يعمل معه من عملائه.

نظر إليه الرجل، فأومأ إليه «رشيد» أن يكتبَ ... فأمسك الرجل بالقلم وأخذ يكتب ... فنظر «رشيد» و«عثمان» في الورقة، وقال له: ليسوا كلهم.

قال الرجل: هؤلاء مَن نعرفهم ... والباقون ليسوا مصريِّين.

ثم نظر إلى اسم الرجل ودقَّق فيه، وقال: «عثمان»: ألم يمرَّ عليك هذا الاسم؟

فقال «رشيد»: إني أتذكره ... إنه صاحبُ محلٍّ كبير في «الرمل» ... يا لَهم من مجرمين!

في هذه اللحظة كان «باسم» قد وصَل المقر بعد ما أوصل الشياطين الستة للمهمة الأخيرة.

وحين رآه «رشيد» قال: «باسم» هل خرج «أحمد» من الميناء؟

قال «باسم»: لقد تركتُهم على ظهر الزورق ورجلنا يتمِّم باقي الإجراءات ... ماذا حدث؟

قال «رشيد»: لا بد أن نتصل بهم فورًا ... هناك معلومات خطيرة يجب أن يكونوا على علمٍ بها قبل أن يتحركوا.

ثم قال «عثمان»: كن معهم أنت و«إلهام» و«ريما» حتى أعود ... ودخل إلى الغرفة المجهزة، وأخذ الجهاز لِيُرسل إشارة إلى «أحمد» وبقية الشياطين. سمع «أحمد» صفير الجهاز، فاستغرب. تُرَى مَن يتصل بهم في هذه اللحظات الحرجة ... ثم استخدم الجهاز، فسمع الرسالة: «من المقر من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» حصلنا على معلومات خطيرة من الرجال الأربعة ... اتَّجِهْ إلى بوغاز «المكس»، هناك زورق اسمه «قاهرا»، تعاملْ معه قبل الخروج للمهمة. لا تسمح له بالخروج إلى عرض البحر.»

انتظر «رشيد»: قليلًا فجاءه الردُّ: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» وصلَتنا رسالتُكم ... عُلِم ويُنفَّذ ... شكرًا.»

عاد «رشيد» إلى الغرفة حيث الرجال الذين تم اتخاذهم كرهائن، حتى تتمَّ المهمة، ثم يفكروا في وسيلة يتخلصون بها منهم. اتجه «رشيد» إلى الرجل الذي فك وثاقه، وقال له: قُل لي إذن ما هي المهمة الموكولة إليكم؟

قال الرجل: مراقبتكم وإرسال أية معلومات تتصل بتحركاتكم إلى الرجل الكبير ...

قال: «عثمان»: رجل الأعمال؟

قال الرجل: نعم.

قال «رشيد»: كم عددكم؟

قال الرجل: لا أدري ... لكن الذين أعرفهم حوالي عشرين.

قالت «ريما»: أنتم أربعة، وكم في الزورق؟

قال الرجل: خمسة، واثنان على الشاطئ يجهِّزان ويُعدان كلَّ الترتيبات.

قال «عثمان»: وهل للرجل الكبير مساعدون؟

قال الرجل: ثلاثة يعملون معه «بالسنتر»، والباقون متفرقون ... في المطعم ... وفي الجمرك نظر «رشيد» إلى بقية الشياطين، ثم قال: ما رأيكم في عشاء راقص على أنغام البحر الليلة؟

قالت «ريما»: ليس عندي مانع.

قال «عثمان»: إني بحاجة لأن أملأَ صدري بالهواء النقي.

أما «باسم» فقال: لا رغبة لي في الخروج الليلة. سأبقى هنا لأتسلَّى بهذه «النسانيس»، فلم أذهب إلى حديقة «الحيوان» منذ فترة.

قال «عثمان» للرجال الموثوقين: هل من رسالة نوصلها لأصدقائكم في المطعم؟

نظر أحدهم إلى «عثمان» نظرةً يملؤها الغيظ؛ لأنه مشلول الحركة، فماذا يستطيع أن يفعل معه؟

قال له: «عثمان»: أعرف أن الغيظ يملؤك، لكني لا أمزح إنني أتكلم بجدٍّ. تكلم وسترى ماذا أفعل؟

قال «رشيد»: صحيح كيف أتعرَّف إلى أصدقائكم؟ أَلَا تُعرِّفوننا بهم؟

قال الرجل: لستم في حاجة إلى ذلك؛ لأنهم يعرفونكم جيدًا.

قال «رشيد»: كما تحب.

أحكم «باسم» وثاقَهم ثم قال: متأسفٌ لكني أُحب أن أستجمَّ في هدوء، دقائق وسأعود إليكم.

دخل الشياطين إلى غرفتهم يستعدون للذهاب إلى مطعم «سي جول» لمقابلة باقي أفراد العصابة ... كان كلٌّ منهم يرتدي ما يناسب الأحداث المقبلة. ويأخذ ما يحتاجه من أسلحة.

وحين خرج «رشيد» من غرفته أطلق صفارة ... فخرج باقي الشياطين جاهزين.

قال «رشيد»: جاهزون.

قالوا في صوت واحد: جاهزون.

كانت أشعة الشمس الذهبية تتسلَّل من النوافذ، لتُعلنَ أن النهار قد أوشك على الرحيل وأن الليل قادمٌ بستائره السوداء، ليُلقيَ بها على الكون.

أدار «رشيد» محرك السيارة وأخذ باقي الشياطين أماكنهم فيها. ثم التفت إلى الشياطين، وقال: يجب أن نُرسلَ رسالة إلى «أحمد»، نُبلغه بمهمتنا.

قالت «هدى»: هذا شيء ضروري.

أمسك «رشيد» بالجهاز، وضغط على عدة أزرار ثم بدأ يُرسل الرسالة: «من «ش. ك. س» نحن متجهون إلى مطعم «سي جول» في مهمة قصيرة للتعامل مع باقي أفراد العصابة.» ثم انتظر قليلًا حتى جاءه الرد: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» احترسوا ... دعواتنا بالتوفيق لقد قهرنا الهدف الأول.»

كان الشياطين يسمعون ذلك وقد اشتدَّت سعادتهم؛ فالبداية موفقة، لقد تمكَّن «أحمد» وباقي الشياطين من الزورق الذي كان مرصودًا لتدميرهم والقضاء عليهم ... والمهمة الآن تسير في طريقها السليم.

انطلقَت سيارة الشياطين إلى حيث العشاء الفاخر السمك والجمبري والقواقع ... والمغامرات اللذيذة حين وصل الشياطين فوق كوبري «المكس» هدَّأ «رشيد» من سرعة السيارة، وطلب من الشياطين أن ينظروا إلى حيث تقف الزوارق، حتى يروا الزورق المقصودَ قالت «ريما»: انظروا إنه ينام تحت الماء.

قال «عثمان»: لقد أصبح مقهورًا بعد أن كان «قاهرًا» وتعالَت ضحكات الشياطين.

ثم قالت «هدى»: هل سنأكل أولًا ... أم سنتعرف على أصدقائنا؟

ردَّ «عثمان»: أنا شخصيًّا أفضِّل أن نأكلَ أولًا حتى لا نخسرَ شيئًا.

قال «رشيد»: لا تتعجلوا الأمور ... ربما نأكل بالمرة ... فهذا متوقف على وجود هؤلاء.

ترك الشياطين السيارة قريبًا من المطعم، ثم ساروا قليلًا فوق معْبَرٍ خشبيٍّ يؤدي إلى الباب، أمسك «رشيد» بالباب، ثم مسح المكانَ كلَّه بنظرة قبل أن يدخل، ثم دخل بهدوء ثم تَبِعه «عثمان» ثم بقية الشياطين. ولم يبتعدوا عن الباب كثيرًا، بل جلسوا على مائدة قريبة ...

لم تمضِ لحظات حتى أقبل ذلك الرجل الذي سبق وتقدم لـ «أحمد» حين دخل هذا المكان من قبل، والذي هو أحد عملاء الزعيم رقم «صفر» ثم انحنى وحيَّاهم: مساء طيب أيها الأحباب ماذا تأكلون؟ بداية أقول: القواقع أوشكت أن تنتهي.

التقط «رشيد» الجملة، ودارَت في مخيلته سريعًا، وتذكَّر على الفور كلام «أحمد»، فنظر إلى بقية الشياطين نظرةً فهموا منها أن هذا رجلهم في هذا المكان، فأراد «رشيد» أن يعرف عدد الرجال الموجودين بالمطعم ضمن أفراد العصابة، فقال للرجل: نريد أن نغير الطعام هل عندكم طيور؟

فقال الرجل: قليلة يا سيدي ... ثلاثة فقط.

قال «رشيد»: جميل ... من فضلك نريد مشروبًا باردًا أولًا ...

انحنى الرجل وانسحب ليُحضرَ المشروبات بينما اقترب «رشيد» من الشياطين، وقال: الآن أصبح كلُّ شيء واضحًا، عشاؤنا سيكون سهلًا ... ولن يستغرق وقتًا.

قالت «ريما»: لكن أين هذه الطيور؟

قال «رشيد»: انتظري قليلًا حتى نتناول المشروب.

أقبل الرجل يحمل أكواب العصير ... ووضعها أمام الشياطين ثم قال «الرجل»: هل تطلب شيئًا آخر يا سيدي؟

قال «رشيد»: تعجَّل لنا العشاء من فضلك.

قال الرجل: لحظات قليلة ... سأذهب حالًا إلى هذه المائدة وأتعجَّل لكم العشاء.

ذهب الرجل إلى مائدة بعيدة وحمل من فوقها الأكوابَ الفارغة وعدة أطباق ... وبينما وهو يستدير أغمض إحدى عينَيه وهو ينظر إلى «رشيد»، ففهم «رشيد» أنهم هؤلاء الذين يجلسون على هذه المائدة ...

دقَّق «رشيد» النظر خفيةً إليهم ليستوضح ملامحهم ... ثم التفت إلى الشياطين، وقال: إنهم هناك على المائدة القريبة من النافذة سأقوم بمحاولة ... انتبهوا جيدًا.

قام «رشيد»، واتجه ناحية كابينة التليفون، وما إن دخل حتى قام أحد الرجال الثلاثة، واتجه ناحيته ثم دفع الباب الصغير.

وقال «رشيد»: من فضلك أريد التليفون.

ردَّ «رشيد»: ألا ترى ... أريد أن أتكلم ... وأنا هنا قبلك.

قال الرجل: لكني في عجَلة ... ناولني التليفون.

قال «رشيد»: بعد أن أتكلَّم.

أمسك الرجل بسماعة التليفون يجذبها من «رشيد» ... فقبض عليها «رشيد» بقوة، فضربه الرجل ضربة قوية ... فدفع «رشيد» الباب الصغير بقدمه بمنتهي القوة، فاندفع البابُ بالرجل فطرحه على الأرض ... فتحسَّس الرجلُ مسدسَه وشَهَره في وجه «رشيد».

في هذه اللحظة كان الرجلان قد قامَا من مكانهما واتجهَا ناحية زميلهما وقد تحسَّس كلٌّ منهما جيبَه. وبسرعة البرق كان «عثمان» يتلوَّى بين الموائد واندفع بمنتهى القوة، فدفع الرجلين من الخلف إلى الأمام، فاندفعَا عدة خطوات إلى الأمام، ثم رقدَا فوق زميلهما. ثم جذب «رشيد» مائدة وقلبها فوق الثلاثة.

ثم أخرج «عثمان» مسدسه ووقف بمحاذاة رءوسهم، بينما كان «رشيد» يقف في أمامه قابضًا على مسدسه، واضعًا مسدس الرجل في جيبه، ثم أمر الرجلين بإخراج أسلحتهما.

كان المطعم قد حدث به هرجٌ، فقال «الجرسون» عميل رقم «صفر»: اهدءوا ... لا تنزعجوا إنهم أصدقاء ... وسيخرجون من هنا حالًا مع بعضهم ... مجرد حساب بسيط.

أمر «عثمان» الرجال أن ينهضوا من أماكنهم ويسيروا معهم بهدوء ... وأثناء قيام أحدهم من مكانه أمسك بقدم «عثمان» ثم طرحه إلى الأرض وارتمى فوقه، وبمنتهى الخفة والقوة رفعه «عثمان» فوق ركبته ثم دفعه للخلف من فوق رأسه، فتكوَّم الرجل على الأرض بعد أن ارتطمَ رأسُه بإحدى الموائد، بينما وقف الآخران في دهشة وذهول مما يحدث.

أسرعَت «ريما» تجرى نحو الرجل ولوَت ذراعه خلف ظهره وساقَته أمامها.

ودفع «رشيد» الرجلَين الآخرَين أمامه ... وخرجوا جميعًا من المطعم متجهين إلى السيارة، كانت الأضواء خافتة تتهادَى أشعتُها من بعيد ... كأنها دموع تتساقط على الطريق ... وكان «المطعم» سابحًا في هذه الأضواء الخافتة ... فبدَا الجو قاتمًا.

اتجه الشياطين نحو السيارة يدفعون الرجال الثلاثة، وبينما كان «رشيد» يُخرج المفاتيح من جيبه اندفع أحد الرجال الثلاثة إلى الطريق هاربًا. فصوَّب «عثمان» إليه مسدسَه ليُطلق عليه النار، فصرخ «رشيد»: لا تُطلق النار.

في هذه اللحظة كان الرجل يندفع كالمجنون لا يدري ما يصنع، فجاءت سيارة مسرعة فصدمَته فسقط مدرجًا في دقائق على الطريق.

دخل الشياطين السيارة وأوثقوا الرجلَين ... وألقى «رشيد» نظرة سريعة على الرجل الملقَى على الأرض ... بينما راح الناس يلتفُّون حوله.

انطلق «رشيد» إلى مقر الشياطين، وقال: مسكين لقد قتل نفسه مرتين.

الجحيم تحت الماء!

بعد أن دمَّر «أحمد» ورفاقه الزورق «قاهرًا»، اندفع زورقُهم يتراقص فوق الأمواج. ثم قال «أحمد»: عظيم هذا الزورق ... إن الزعيم رقم «صفر» له مفاجآت مذهلة.

قال «خالد»: فعلًا ... مفاجآته مذهلة ... ويتعامل مع كل البشر، كأن الكرة الأرضية ورقة في جيبه يحرك ويتحرك في أي مكان وهو في مكانه.

فردَّ «أحمد»: لا بد أن نقدِّمَ له مفاجأة تُسعده الليلة.

قال «بو عمير»: ها هو البحر أمامكم ... والعدو تحتكم ... فانطلقوا على بركة الله.

ضحك الشياطين ... ثم قال «خالد»: أشعر بالجوع ... ألَا يُشاركني أحدٌ هذا الإحساس؟

قال «بو عمير»: نعم ... أشعر أن شهيتي مفتوحة للطعام. ما السر في ذلك؟

قال «أحمد»: جو البحر.

قال «قيس»: ماذا تعني؟

قال «أحمد»: أعني أن هواءَ البحر نقيٌّ، يُنشِّط الدورة الدموية ويجدِّد حيويتَها، فتساعد على هضم الطعام سريعًا ... فيشعر الإنسان بالجوع على فترات متقاربة.

قال «بو عمير»: إذن هذا الطعام لن يكفيَنا الليلة.

ضحك الشياطين، وقال «أحمد»: أريد فقط مشروبًا دافئًا. كانت شاشة جهاز الرادار مضيئة وأسماك السردين الصغيرة تتلألأ عليها كحبات اللؤلؤ ... تلمع وتختفي، وكانت شاشة الرادار تغطي مساحة واسعة تحت سطح الماء؛ لأنها تختلف عن الكاميرا، التي كانت معهم في المرة السابقة ... الدقائق تمر ... لا جديد ... البحر هادئ ... والرياح خفيفة، ثم هدَّأ «أحمد» من سرعة الزورق، وقال: يجب أن نكون مستعدين الآن، سنتجه إلى النقطة «ب» ثم نمسح المنطقة في حركة لولبية حتى لا يفوتَنا شيء ...

قال «خالد»: لقد فرغنا من كل شيء ... فابدأ ... سيحالفنا الحظ إن شاء الله ...

اتجه «أحمد» إلى النقطة «ب» والزورق يتهادَى مع الأمواج كأنه ذاهبٌ إلى عُرسٍ ... وفجأة سمع «أحمد» أزيزَ جهاز الإرسال، فرفع الجهاز ليتلقَّى الرسالة، إنها من «رشيد» وبقية الشياطين: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» لقد اصطدنا ثلاثة طيور من المطعم، لكن طيرًا واحدًا من الطيور سقط في الطريق.»

ردَّ عليه «أحمد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» تحفَّظ عليهم كلهم حتى نُنهيَ المهمة ونُبلغ بهم رقم «صفر» انتهت الرسالة ...» وقال «أحمد» لرفاقه: لقد أوقع «رشيد» وبقية الشياطين بثلاثة رجال من العصابة لكن أحدهم مات في الطريق.

قال «بو عمير»: يبدو أن العملية كبيرة.

قال «أحمد»: طبعًا كبيرة ... لكن ستنتهي سريعًا بمشيئة الله.

حين وصل الزورق إلى النقطة «ب» اتجه «أحمد» ناحية الشمال، ثم اتخذ طريق الغرب والأسماك تظهر وتختفي على شاشة العرض داخل «غرفة القيادة».

كان «بو عمير»: في هذه اللحظة يُمسك بالنظارة المكبرة وينظر على صفحة الماء في اتجاهات مختلفة، فقال له «خالد»: ماذا تصنع والدنيا مظلمة؟

قال «بو عمير»: خُيِّل إليَّ أني رأيت شعاعًا لامعًا أو شيئًا يبرق على صفحة الماء.

قال «خالد»: أين؟

قال «بو عمير»: في هذا الاتجاه.

أمسك «خالد» بالنظارة المكبرة، وأخذ يُجيل النظر ... ثم فجأة مال برأسه قليلًا إلى الأمام، ثم قال «بو عمير» ... إني رأيت هذا الشيء، إنها تلك السمكة الضخمة تلمع تحت سطح الماء، وتظهر وتختفي كأنها البرق.

ثم أسرع إلى «أحمد» داخل غرفة القيادة: «أحمد» ... اتجه شمالًا ... انظر ... «الدلفين» قادم من النقطة «أ». سدَّد «أحمد» شاشة الرادار المائي تجاه «الدلفين»، فظهر مهولًا على الشاشة الكبيرة ... فأخذ الشياطين يتأمَّلون وينظرون إليه مستغربين.

ثم قال «خالد»: ماذا سنفعل الآن؟

قال «أحمد»: لا شيء ... سننتظر حتى يعود ثم نتعامل معه قريبًا من الهدف الآخر.

أبطأ «أحمد» من سرعة الزورق ... لتتناسب سرعتُه مع سرعة «الدلفين» وبدأت المطاردة. كان «الدلفين» يعلو فوق سطح الماء كل فترة ثم يختفي تحت سطح الماء كأنه ينقضُّ على أسراب السمك. وكان الشياطين يتبعونه برفقٍ حتى لا تنكشفَ خُطتهم.

لم يكن الشياطين وحدهم في هذه المنطقة بزورقهم، بل كانت تتناثر هنا وهناك أضواء زوارق الصيد، وذلك مما أعطى للعصابة الأمان؛ حيث يظنون أن كل القوارب والزوارق تُمارس الصيد فقط.

ولم يَدُر بفكرهم أن هناك عيونًا ساهرة تترقَّب الفرصة المناسبة لتُخلِّص الإنسانية من شرِّهم.

أخذ «الدلفين» يتقلب عدة مرات كأنه يلعب ويلهو، ثم أدار وجهته إلى حيث تستقر الكارثة، حينئذٍ أدرك الشياطين أن النهاية تقترب، فجرَى الدمُ ساخنًا في عروقهم ... وبدأ العرق تلمعُ حبَّاتُه على جِباههم، لقد بدءوا العدَّ التنازلي لتبدأ نهايةُ مهمةٍ من أخطر المهام التي قاموا بها ...

إنها مهمة لا تعرف أنصافَ الحلول ... لا بد لها من حلٍّ جذريٍّ وحاسم وسريع ...

أشار «أحمد» بيده إلى «خالد»: رجالك جاهزون.

قال «خالد»: في انتظار إشارة ...

قال «أحمد»: كُن مستعدًّا في أية لحظة ... المهمةُ كلُّها لحظة، إن أصبتَ الهدف الأول نجحنا وإلا ... فسنكون نحن الفريسة ...

قال «خالد»: أعطِ أوامرك فقط ... ونحن علينا التنفيذ ...

قال «أحمد»: لقد اختفى «الدلفين» تحت الماء ... سأقترب أكثر، لا بد أن تتخذ مكانك في مقدمة الزورق وثبِّت نفسك جيدًا ... وفي اللحظة التي يصعد فيها إلى سطح الماء يجب أن تكون «الإبرة المخدرة» في جسده ... تنبَّه جيدًا ... امضِ الآن.

سار «أحمد» إلى مقدمة الزورق، واتخذ مكانه بين الحبال، كان الزورق يسير بسرعة متوسطة، جهَّز «خالد» المسدس وصوَّبه ناحية الماء وعينُه تنظر في حدَّة إلى صفحة الماء، ثم رأي تحت سطح الماء «الدلفين» وهو يصعد إلى السطح، وما إن أخرج رأسه حتى كان «خالد» قد سدَّد إليه «إبرة مخدرة». فزع «الدلفين» ثم أحدث جَلَبة على سطح الماء، وصرخ «أحمد»: أطلق إبرة مخدرة أخرى ... بسرعة ...

وفي لمح البصر كان «خالد» قد وجَّه «للدلفين» إبرة مخدرة أخرى جعلَت «الدلفين» يتباطأ في حركته ويلفُّ حول نفسه ... و«خالد» ينظر إليه.

في نفس اللحظة كان «بو عمير» يحمل آلة «السهم النفاث» على كَتِفه كالمدفع ثم نظر في عدسته وصوَّب السهم تجاه «الدلفين» وضغط على «الزرِّ» فانطلق محدِثًا صوتًا في الهواء، ثم استقر في جسم «الدلفين».

بدأ «الدلفين» يتوقف تمامًا عن الحركة، وأخذ الشياطين يجذبون الحبل المربوط به السهم، واقترب «الدلفين» المهول من الزورق. حاول الشياطين رفعَه. لكنه كان ثقيلًا، فخشيَ الشياطين أن ينقطع الحبل ويسقط «الدلفين» في البحر ... فخرج «أحمد» من غرفة القيادة، وقال: يجب أن نتصرَّف بسرعة ... الآن نحن في خطر.

أمسك «أحمد» بقطعة من حبل من النايلون وصنعها على هيئةِ فخٍّ ثم أدخلها من ناحية ذيل «الدلفين»، ثم جذبها فقبضَت على ذيله ... ثم ربطها بطرف الونش المثبَّت على جانب الزورق ... ثم دخل غرفة القيادة، وضغط على أحد الأزرار، فأخذ «الدلفين» يرتفع حتى استقر على ظهر الزورق.

ثم قال «أحمد» لـ «خالد»: انزع بعض هذه الأسلاك حتى يتعطل الجهاز فورًا.

أخرج «خالد» آلة مغطاة بالبلاستيك تُشبه «الكماشة»، لكن بها عدة أزرار، ثم نزع بها عدة أسلاك من على جانبَي رأس «الدلفين».

في هذه اللحظة كان «أحمد» يزيد من سرعة الزورق ثم صرخ في «خالد»: انظر في اتجاه مقدمة الزورق ... انظر في الماء ... العوامة ... العوامة في هذه المنطقة.

صاح «خالد» مشيرًا إلى الشمال: إنها هناك ... قريبة منَّا، اتجه إلى الشمال قليلًا ...

اعتدل الزورق متجهًا ناحية العوامة التي تركها قبل ذلك ليحدِّد بها مكان واتجاه الغواصة بين الصخور، كان الرادار قد كشف الصخور تمامًا ... لكن ذلك الشيء المختفي كان قد غيَّر من وضعه وأخذ وضع الاستعداد.

صاح «أحمد»: الوقت ليس في صالحنا ... سنضيع كلُّنا، أين «بو عمير»؟

فصاح «خالد»: إنه خلفك عند جهاز القذائف.

فصاح «أحمد»: حاول أن تُمسك بالعوامة سريعًا. أدلى «خالد» عصًا حديدية طويلة في نهايتها شيء يُشبه الصنارة، ليصيدَ بها العوامة.

لكن الزورق كان قد اهتزَّ عنيفًا وارتجَّت أركانُه.

فصرخ «أحمد»: لقد أصابَتنا قذيفة.

مسح «أحمد» قاع المركب بالرادار. فوجد أن القذيفة أطارَت «الرفاصين»؛ فالزورق له محركان.

ثم صاح بأعلى صوته: هيَّا يا «خالد» ... لكن «خالد» لم يستطع أن يحصل على العوامة؛ لأن القذيفة أبعدَت الزورق عن العوامة.

فنادى «أحمد»: اتركها وتعالَ مع «بو عمير» ... اتركها فورًا، ثم رفع «أحمد» سرعةَ الزورق إلى أعلى درجة، ودار بالزورق دورةً سريعة حول نفسه، فهدأ الموج من حوله، ثم أبطأ المحركات فجأة. وقال في حدَّةٍ: «٣–٢–١–٠» اضرب.

فانطلقَت قذيفةٌ أسرع من البرق ليتحول قاعُ البحر إلى الجحيم.

ثم يصيح «أحمد»: اتبعْها بأخرى ... أطْلِق ...

فأصبح الماء أسود بعد أن كان صافيًا ... ثم بدأت الأمواجُ تتلاطم في قوة. كأن زلزالًا وقع تحت الماء، وأخذ الزَّبَد يظهر على سطح الماء متقلبًا فورًا، كأن تحت سطح الماء نافورة لكنها تُلقي بالطين وقِطَعِ الخشب ... والأسماك التي أحرقَتها النيران.

وكان هذا الطوفان الهائل، والثورة المفاجئة للبحر قد جعلَت الأمواج ترتطم بزورق الشياطين، فأصابهم الموج وابتلَّت ثيابهم.

لكن الزورق المهيب كان كأنه يرقص رقصةَ الانتصار أو سعيد؛ لأنه استطاع أن يحقِّق ذاتَه وينتصر على غريمته تحت الماء.

كان شعاع الفجر المضيء قد بدأ يتسلَّل إلى الأفق ... حين كان الزورق في طريق العودة إلى النقطة «ب» التي خرجوا منها أول الليل.

ودخل الزورق إلى مستقرِّه هادئًا ... وكان الشياطين يحسبون أن في مثل ذلك الوقت لن يجدوا أحدًا ينتظرهم أو يشعر برجوعهم، لكنهم فُوجئوا بالرصيف، وقد اصطفَّ عليه عددٌ من الجنود مدجَّجين بالسلاح، وعند مقدمة الزورق كان يقف ضابطان، أحدهما برتبة عقيد بحري، والآخر برتبة مقدِّم ... وما إن هبط الشياطين من الزورق حتى كان الضابطان يقدِّمان لهم التحية العسكرية ... وصافحهم ثم قال العقيد: أُهنِّئكم باسمي وباسم بلدكم ... لقد قمتم بعمل مُعجز وخارق للعادة.

ثم سلَّم لـ «أحمد» رسالة.

فتح «أحمد» الرسالة وعلى ضوء المصابيح بدأ يقرؤها؛ لقد كانت من الزعيم رقم «صفر»:

«نهنئكم بسلامة الوصول ... لقد انتهت القصة ... ولم يَعُد أمامكم إلا إجازة هادئة في مرسى مطروح بعيدًا عن الضجيج.»

هنـــداوي